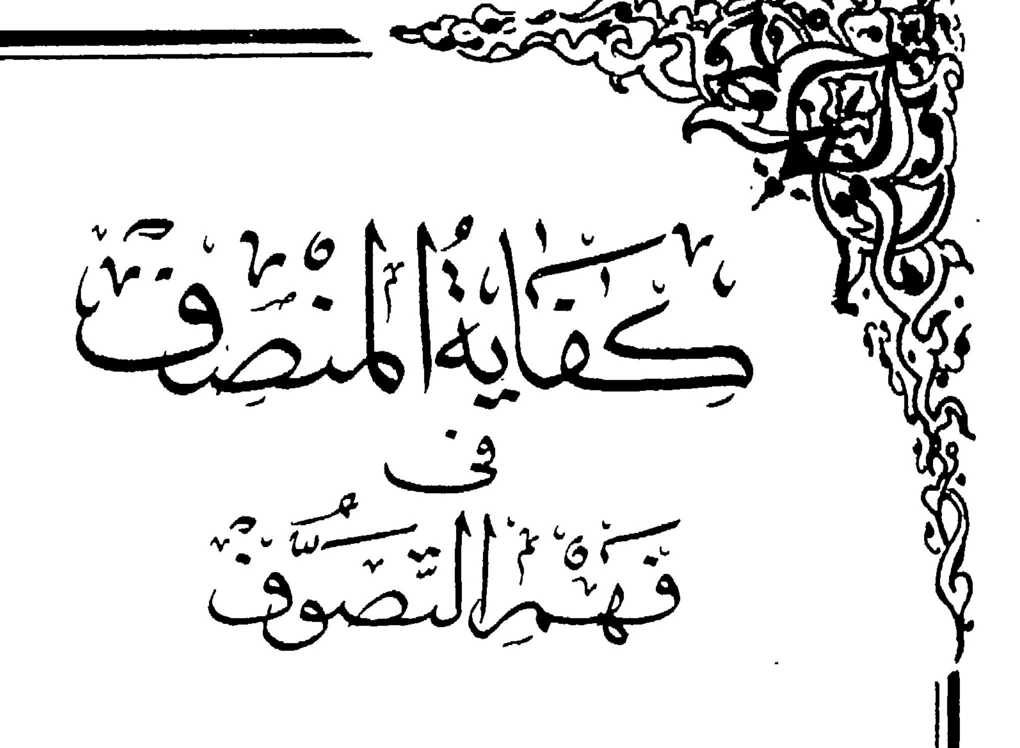
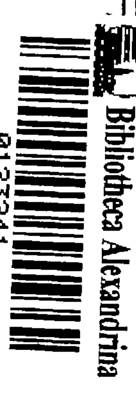


جمع الفقير
محمد إبراهيم محمد سالم





كفاية المتصوف في فهم التصوف

جمع الفقير
محمد إبراهيم محمد سالم



بسم الله الرحمن الرحيم

توجيهات ضرورية

١- الكتاب منشور للإفادة العامة لمحبى التصوف .

٢- فعلى من يقتنيه المحافظه عليه صورة بعدم وضعه فى أيدى
من لا يقدر مقام وأحوال الصوفية . والمحافظة عليه معنى
بأن يدرسه بإطمئنان وفى جو علمى أدبى حتى ينتفع بفصوله
ومباحثه الواسعة .

٣- أعتذر عن كتابة بعض ألفاظ الآيات القرآنية على غير الرسم العثمانى
والله المسامح

٤- قد يقابل المطلع بعض تكرير فى المنثور والمنظوم من الكتاب لضرورة المطلوب
فى الفصول المختلفة فى الكتاب وذلك للفائدة

٥- يعتبر هذا الكتاب موسوعة فى بابه فهو نتيجة مجهود كبير
فى أحضان كتب الصوفية وفى أحضان كبارهم الأحياء المعاصرين
للفقير جامع الكتاب .

٦- إذا لم يجد المطلع عليه راحة قلبية كاملة فى تقبل ماجاء به
فليتوقف عن النقد ويعيده إلى ناشره.

٧- صححت الأخطاء المطبعية واللغوية بقدر المستطاع والمطلع المثقف
يمكنه استدراك ما فات من التصحيحات .

والله الموفق

الفقير / محمد ابراهيم محمد سالم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمين الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين «وبعد» فقد تطفلت على موائد الكرام واشتركت بالصورة مع العاملين الأعلام فقدمت هذا الكتاب فى إيضاح طريق الصوفية بما فيه الكفاية للمنصف الموفق والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

مقدمة :

الله وحده هو المقصود بالعبادة من كل عابد والتوجه من كل متوجه والاستعانة من كل مستعين والسؤال من كل سائل. هذه عقيدة كل مسلم سليم الاعتقاد مدرك بعقله ونور إيمانه للمطلوب علمُه من الدين .

ثم إن حكمته جل شأنه اقتضت إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لهداية الناس إلى طرق سعادتهم عاجلاً وآجلاً وأنزل عليهم الكتب المبينة لشرائعهم المؤيدة لرسالاتهم ودعوتهم فقاموا فى أزمانهم بهذا التكليف الكريم وختمت رسالتهم بسيد الخلق أجمعين متمم بنيان الهدى والإرشاد مكمل نهج الرضا والإسعاد سيدنا محمد ﷺ.

وبما أن دينه ﷺ خاتم الأديان وشريعته هى الباقية لآخر الزمان أكرمه

الله جل شأنه بأن جعل فى أمتـه الكريمة ورثة كراماً وأئمة أعلاماً من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين .

وأراد ربك أن يكون أمر الدين كله قائما فقيض للتشريع واستنباط الأحكام رجالا ولعلوم القرآن والحديث رجالا وللعقائد والمحافظة عليها والدفاع عنها رجالا وكان كل أولئك علماء عاملون مخلصون إلى أن دعت الحالة الدينية التى تغيرت وضعفت بسبب الإقبال على الدنيا واتساع الآراء وقيام الأغراض فيما بعد القر ن الثانى الى قيام طائفة الاجتهاد والإخلاص فى العلم والعمل بإظهار علومهم وأحوالهم وأعمالهم وأطلقَ عليهم إسم (الصوفية) نسبة لأهل الصُفة الثابت تاريخهم وهم فقراء الصحابة الذين اتخذوا الصُفة بمسجد رسول ﷺ مقراً أو نسبة للصوف الذى آثروا لبسه زهداً فى الدنيا أو نسبة للصفاء أو غير ذلك من المعانى التى يحملها هذا اللفظ فليس المتصوفة أقواماً منفردين بدين وعقائد وأحوال وأعمال وعلوم غير ما عليه عموم المسلمين فى سائر العصور ولم يقف فى فهم ذلك والإقرار به إلا من لم يتسع فى العلوم الشرعية من حيث الإلمام بمنطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها . واعتقادى أن الفطرة السليمة المشربة بحب الله ورسوله العامرة بالإيمان القوى المتحلية بالأخلاق الكريمة والطباع السليمة المعتدلة فى السير فى طريق الحياة بالاهتمام بالاشرف والاكتفاء باللازم المناسب لحكم الوقت الخالية من الدعوى وحب الظهور المجانبة

للمتعصبين لآرائهم الواقفين مع نظرهم وقشور علمهم اعتقادى أن هذه الفطرة مسلمة بطبيعتها لهؤلاء القوم مشربة بحبهم منتسبة إليهم بالحال وإن لم يقسم لها الاجتماع بهم فى الظاهر وذلك مشهود وواضح للمتفرس المنصف وقد قال الإمام القشيرى فى رسالته المشارح لها سيدنا الإمام زكريا الأنصارى : لم يكن عصر فى مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به ولولامزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس .

ويقول سيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى مقدمة كتابه الطبقات الكبرى : ويكفينا للقوم مدحاً إذ عان الأمام الشافعى رضى الله عنه لشيبان الراعى حين طلب الإمام أحمد بن حنبل أن يسأله عمن نسى صلاة لايدرى أى صلاة هى وإذ عان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك حين قال شيبان هذا رجل غفل عن الله عز وجل فجزاؤه أن يؤدب وكذلك يكفينا إذ عان الأمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لأبى حمزة البغدادى الصوفى رضى الله عنه واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول ما تقول فى هذا يا صوفى كما سيأتى بيان ذلك فى ترجمة أبى حمزة رضى الله عنه فشىء يقف فى فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم كذلك يكفينا إذ عان أبى العباس بن سريج للجنيد حين حضره وقال لا أدرى ما يقول ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل وكذلك إذ عان الإمام أبى

عمران للشبلى حين أمتحنه فى مسائل من الحيض وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبى عمران وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن رضى الله أن الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول إنهم بلغوا فى الإخلاص مقاماً لم نبلغه وقد أشبع القول فى مدح القوم وطريقهم الإمام القشيرى فى رسالته والإمام عبدالله بن أسعد اليافعى فى روض الرياحين وغيرهما من أهل الطريق وكتبهم كلها طافحة بذلك وكان الإمام أبو تراب النخشبى أحد رمال الطريق رضى الله عنه يقول : إذا ألف العبد الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله ، قلت وسمعت شيخى ومولاى أبو يحيى زكريا الأنصارى شيخ الإسلام يقول إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم واصطلاحاتهم فهو فقيه جاف - ثم تابع سيدى عبدالوهاب الاستدلال على صحة طريق القوم وعلو شأنهم فى مقدمة كتابه المذكور فارجع اليه ففيه العلوم العاليه المفاضة على أولياء الله فى الأزمنة السابقة لزمانه رضى الله عنه والله الهادى .

وهذا تقرير لسيدنا الجلال السيوطى بأحد فصول كتابه « تأييد الحقيقه العلية » يؤيد فيه طريق القوم يقول رضى الله عنه : والتصوف فقه بلا شك فإن أكثره تكاليف واجبة ومندوبة ومنها محرّمة ومكروهة وقد نص على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول حيث ذكروا حد الفقه ووافقهم ابن السبكى فى جمع الجوامع وضم اليه مسائل أصول الدين التى

يجب اعتقادها فقال إنها عندى فقه وأعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبارة التى ألفوها فى علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان وكانوا أول قائل بها وإنما ينفرهم منها إيرادها بعبارة مستغربة لم يألفوها الى أخر ما قال رضى الله عنه .

والمعروف تواترا أن الإمام عز الدين بن عبدالسلام انتسب لطريق القوم على يد سيدى أبى الحسن الشاذلى وكان يقول : من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شىء من ذلك قط لفقيه إلا إن سلك مسلكهم كما هو مشاهد . انتهى

وسيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه ذكره الشيخ ابراهيم اللقانى فى جوهرة التوحيد قال :

ومالك وسائر الأئمـــــة ∴ كذا أبو القاسم هداة الأمـــة

فواجبٌ تقليد حبر منهم ∴ كذا حكى القوم بلفظ يُفهم

وقد شرح ذلك سيدى الشيخ ابراهيم الباجورى فقال : أبو القاسم محمد الجنيد سيد الصوفية علماً وعملاً ثم قال وكان الجنيد رضى الله عنه على مذهب أبى ثور صاحب الإمام الشافعى فإنه كان مجتهدا مطلقا كالإمام أحمد، الى أن قال : والحاصل أن الإمام مالكا ونحوه هداة الأمة فى الفروع والإمام الأشعرى ونحوة هداة الأمة فى الأصول أى العقائد الدينيه والجنيد

ونحوه هداة الأمة فى التصوف فجزاهم الله عنا خيرا ونفعنا بهم انتهى .

وأسوق اليك هنا بعض فتاوى الإمام ابن حجر الهيتمى بخصوص الصوفية وطريقهم فى كتابه الفتاوى الحديثية : سئل رضى الله عنه ما ملخص ما يقولونه فى ابن عربى وابن الفارض وطائفتهما هل هم محقون أم مبطلون وما الدليل على ذلك أوضحوا لنا الجواب وابسطوه بسطا شافيا «فأجاب» ملخص ما نعتقده فى ابن عربى وابن الفارض وتابعيهما بحق الجارين على طريقتهما من غاية إتقان علوم المعاملات والمكاشفات ومن غاية الزهد والورع والتجرد والانقطاع الى الله فى الخلوات والدأب على العبادات ونسيان الخلق جملة واحدة ومعاملة الحق ومراقبته فى كل نفس كما تواتر كل ذلك عن هذين الرجلين العظيمين أنهم طائفة أخيار أولياء أبرار بل مقربون ومن رق السوى أحرار لامرية فى ذلك ولا شك إلا عندمن لا بصيرة له وكفاك حجة على ولايتهما تصريح كثيرين من الأكابر بها وبأنهما من الأخيار المقربين كالشيخ العارف الإمام الفقيه المحدث المتقن عبدالله اليافعى نزيل مكة المشرفة وعالمها ومن ثم قال الأسنوى فى ترجمته فاضل الأباطح وعالمها وقال الحمد لله الذى إبتدأ كتبنا بالشافعى وختمها باليافعى وكالشيخ الإمام المجمع على جلالته وعلمه بمذهب مالك وغيره وعلى معرفته التاج ابن عطاء الله وناهيك بحكمه وتنويره دليل على ذلك حتى قالوا كادت الحكم أن تكون قرآنا يتلى وكالشيخ الإمام العلامة المحقق الشافعى الأصولى إلتاج السبكى وكشيخنا

خاتمة المتأخرين وواسطةعقد المحققين زكريا الأنصارى وكالشيخ العلامة البرهان ابن أبى شريف وناهيك أيضا بهذين العالمين وقد حكى بعض الثقاة الأثبات من الفقهاء أنه قال جاورت بمكتوكان لى فيها صديق من أولياء الله فسألته أن يرينى القطب فمكث مدة ثم قال لى إذا رأيته لا تكلمه فمكثت مدة ثم رأيته فقبلت يده وجلست ساكتا ثم التفت القطب وقال صاحب مصر رجل منكم معشر الفقهاء فخطر لى أن أسأله عنه فلم يمكنى ذلك ثم بعد مدة اجتمعت به وكان عندى أنى إذا اجتمعت به أسأله عن تعيين ذلك الرجل فالتفت إلىّ وقال صاحب مصر الآن الشيخ برهان الدين بن أبى شريف ثم يكون بعده الشيخ زكريا فتأمل هذه الشهادة من القطب لهذين الإمامين ولقد كانا زينة مصر بل زينة الدنيا كلها فإنهما كانا لا يخافان فى الله لومة لائم حتى كان الشيخ زكريا يسب السلطان قايتباى صريحا على المنبر وهو جالس يسمع خطبته وهو يومئذ قاضى القضاه بالديار المصريه وكان لا يهابه ولا يعبأ به وكيف لا وقد مُدَّ عليه نظر السادة الصوفية ورضع من لبان معارفهم ودخل تحت لواء إشاراتهم وتربى معهم حتى اجتلى وتوقد وتفرد وانكشفت له حقائق ومعارف . ثم قال بعد سرد وقائع دالة على رفعة وجلالة مقدار سيدنا الشيخ زكريا وشيوخه وطائفة المعاصرين له من الأولياء الفقهاء : فيكفيك ما قاله هؤلاء الأئمة العارفون بالله العالمون العاملون الفقهاء الأولياء وما صرحوا به من أن كلا الإمامين المذكورين وطائفتهما أى

التابعين لهما بحق كما قدمته أولياء أخيار أتقياء أبرار فكيف يمترى عاقل أو متدين بعد ما صرح به أئمة الدين الذين أماطوا عن وجهه شبهة المبطلين وأبطلوا حجج المتمردين مما ذكر فى ولاية هؤلاء الأئمة المذكورين ويا عجباً كيف نأخذ بقولهم فى الأحكام ونعمل بها فيما بيننا وبين الله ونعتمد عليها فى التحريم والتحليل وقتل الأنفس وقطع الأيدى وغير ذلك من العظائم ولا نأخذ بقولهم فى أئمة مسلمين تضلعوا من الكتاب والسنة وضموا الى ذلك الفروع الاجتهادية وما يلا ثم ذلك من العلوم الأدبية والعربية ثم بعد ذلك كله اشتغلوا بصفاء قلوبهم حتى أشرقت وتنورت وصارت شفافة تحكى ما قابلته فكوشفوا بإبراز العلوم وأحكامها الباطنة - ثم ذكر رضى الله عنه حكاية عن الذهبى أن سلطان الغرب أمر أن لا يقيم ببلاده إلا رجل يبلغ درجة الاجتهاد بحيث لا يتقيد بمذهب أحد فأجمع رأى علماء بلاده على ستة منهم وكان من الستة الشيخ محيى الدين . وذكر أيضا تأييداً لمؤلفات الشيخ محيى الدين بن عربى فى أسرار المعاملات حكاية عن البقاعى - وذكر أيضا رجوع أحد تلامذة سيدنا الشيخ زكريا عن الإنكار على الشيخ ابن الفارض برائى منامية عرفته بقدره وقدر طائفته عند ربه ثم أخذ رضى الله عنه فى إيراد الأدله التى ترجح تأييد الصوفية على أقوال بعض المعترضين وأن الحق مع المؤيدين لهم رضى الله عنهم ويذكر عقوبات محسوسة لحقت بالمعترضين نسأل الله السلامة . ويكفى هذا المقدار من هذه الفتوى للاختصار والأصل

موجود فليرجع إليه للزيادة .

وهذه فتوى أخرى له رضى الله عنه . سُئل نفع الله به بما لفظه : لابن تيمية اعتراض على متأخرى الصوفية وله خوارق فى الفقه والأصول فما محصل ذلك (فأجاب بقوله) ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبى الحسن السبكى وولده التاج والشيخ الإمام العز ابن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلىّ ابن أبى طالب رضى الله عنهما كما يأتى والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمى فى كل وعر وحزن ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضل جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين . وأستمر رضى الله عنه فى تفصيل السؤال الموجه إليه والإجابه عن نقطه وذكر ما خالف ابن تيميه فيه إجماع المسلمين . والله الهادى . وفتوى أخرى له رضى الله عنه فى حكم مطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن عربى أجاب عنها بقوله : الذى أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يستسقى بهم الغيث وعليهم المعول واليهم المرجع فى تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات . أن الشيخ محيى الدين بن عربى من أولياء

الله تعالى العارفين ومن العلماء العاملين وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه بحيث أنه كان فى كل فن متبوعاً لا تابعاً وأنه فى التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى وإمام لا يغالط ولا يمارى وأنه أورع أهل زمانه وألزمهم للسنة وأعظمهم مجاهدة حتى أنه مكث ثلاثة أشهر على وضوء واحد . وأخذ يذكر مآثر الشيخ وكتبه وجلالة قدرها . ويجيب فى فتوى تليها بخصوص حُكم مطالعة كتب ابن عربى وابن الفارض بقوله : حكمها أنها جائزة مطالعة كتبهما بل مستحبة الى آخر الجواب فارجع الى كل هذه الفتاوى وما لم أتممه بأصولها إن أردت الزيادة .

وفى تتمات بآخر كتاب الفتاوى الحديثية المذكور للشهاب ابن حجر رداً على ابن الجوزى وكتابه « تلبيس ابليس » الذى تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أن أبليس لبس عليهم قال رضى الله عنه : قال اليافعى ولم يدر أنه هو الذى لبس عليه فى كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر والعجب كل العجب فى إنكار سادات ما بين أوتاد وأبدال وصديقين وعارفين بالله قد ملئوا الوجود كرامات وأنوار ومعارف أعرضوا فى بدايتهم عما سوى الله فحصل لهم فى نهايتهم من فضل الله مالا يعلمه إلا الله فقول الصغير منهم وقفت على باب قلبى عشرين سنة ما جاذبه شىء لغير الله إلا رددته هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاء عاما ولا يكون ممن يحلونه

عاما ويحرمونه عاما أما علم أن علماء أعلام الأئمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديما وحديثا يعتقدون الصوفية ويتبركون بهم ويستمدون منهم ولقد وقع للتقى ابن دقيق العيد أنه قال فى حق فقير كان يعتقده ويخضع له هو عندى خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه وكذلك النووى رضى الله عنه كان يعتقد الشيخ ياسين المزين ويقبل اشارته حتى أنه أمره بالسفر ورد ما عنده من الكتب المستعاره قبل موته بقليل ففعل وسافر من دمشق راجعا لبلده نوى فتوفى بها بين أهله وكذلك العز بن عبدالسلام كان يبالغ فى تعظيم الصوفية . انتهى ما أردت أخذه من هذه التتمات . وإتماماً للفائدة أسوق بعد ذلك فقرات قصيره من الفتاوى الأخيره بالكتاب المذكور :

قال رضى الله عنه فى إجابته عن سؤال نصه : أيما أفضل علماء الباطن أم علماء الظاهر : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر منه عند أهله وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال وحفظهم من سائر المخالفات فى كل الأحوال ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه واشتغلوا بمحبته عما سواه وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه وقربهم من حضرة قدسه وأجلسهم على بساط أنسه وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره وخزائن معارفه وكنوز لطائفه وأحيا بهم الدين ونفع بهم المريدين وأغاث بهم العباد وأصلح بهم البلاد

وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية وعويصات الوقائع الفعلية والقولية وغرائب البراهين العقلية والنقلية حتى حفظوا سياج الشرع من أن يلم به طارق أو يمزقه مبتدع مارق فالأولون أفضل وإن كان للآخرين فضل عظيم بل ربما كانوا أفضل من حيثية لا مطلقا ومع ذلك فأفضلية الأولين على حالها إذ قد يكون فى المفضول مزية بل مزايا هذا إن وجدت فى هؤلاء صفة العداله وإلا فلا مفاضلة إذ لا مشاركة بينهم وبين الأولين فى شىء من صفات الكمال لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة فى الحقيقة مقت أى مقت وغضب أى غضب ومن ثم جاء فى الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللب ويحير الفكر هذا هو الحق فى هذه المسأله خلافا لمن أطلق الكلام فى تفضيل أحد الشقين ولم ينح هذا التفصيل الذى أبديته - ثم قال بعد ذلك : ومما يدل لأفضلية الأولين ما هو مقرر أن العلماء يشرفون على قدر شرف معلومهم وشرف العلوم تابع لشرف غاياتها فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم وأصحابها أشرف العلماء ويليها فى الشرف علم الفقه لأن غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذى تعبد به عباده وجميع العلوم وسيلة الى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته لأن الخلق لم يخلقوا إلا لذلك لقوله تعالى : ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ والعبادة تفتقر الى المعرفة ومن فسرها بالمعرفة فهى مستلزمه للعبادة إذ من عرف الله عرف

وجوب عبادته وطاعتـه ومما يوضح لك أن العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل الوسيلة لطاعة الله وقربه الوسيلة لمعرفته فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها الى المقصود الأعظم وإلا فهو الخاسر الجاهل وإن كان بصورة عالم ومما يدل على أفضلية علم المعرفة على الفقه وغيره أمور منها أن العلوم والمعارف الدينية يختص بها الأولياء والصديقون والعلوم الظاهره ينالها حتى الفسقة والزنادقة ومن ثم قال السهروردى فى عوارفه وينبيك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى وربما كانت محبة الدنيا عونا على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وفقد الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم يعنى الصوفية لا تحصل بمحبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس الا فى مدرسة التقوى قال الله تعالى ﴿ **وَاتَّقُواْ الله ويعلمكم الله** ﴾ ومنها أن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقا ويكفى فى انتفاعهم تطهير قلوبهم مما سوى الله وامتلاؤها بمحبته ومعرفته ومن نفعهم للخلق أن بركتهم تغيث العباد ويدفع بها الفساد وإلا لفسدت الأرض ويقام بهم الدين ويرشد بهم المريدون الى

التطهير من كل خلق دنىّ والترقى الى التحلى بكل وصف عليّ ومن ثم وقع لعارف أن تلميذه أراد الزنا بامرأة فلماهمّ سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة يقول هكذا تفعل يا فلان ففر هاربا ووقع لآخر من تلميذه فى نظير ذلك أنه ما شعر إذ همّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره فخرج وأمر من جاء به الى الشيخ فقال ادع الله لى أن يرد بصرى فإنى تائب الى الله تعالى فقال نعم ولكن لا تموت إلا أعمى فدعا له فرد عليه بصره ثم عمى قبل موته بثلاثة أيام وكذلك وقع للشيخ أبى الغيث بن جميل اليمنى رحمه الله أنه كان له تلميذ بالعجم هم بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبقابه مع زجر وغضب بحضرة الفقراء فلم يدروا ما الخبر حتى قدم العجمىُ بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبا وكذلك للجيلانى أنه رمى بفردتى قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين فلم يدر الفقراء ما الخبر حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوما فأخبروا أن عربا نهبوا أموالهم واقتسموها وهم ينظرون فنذروا للشيخ بشىء إن نجوا منهم فسمعوا الصرختين وجاءهم العرب بأموالهم وأخبروهم أن فردتى القبقاب جاءتا الى كبيريهم فقتلتا هما فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما ومنها ما ورد فى فضل أويس القرنى رضى الله عنه ونفعنا به وكونه أفضل التابعين فى بعض روايات صحيح مسلم مع ما فى التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون ومنها إن ابن عبدالسلام صرح بتفضيل العارفين بالله تعالى ومن ثم لما سمع إملاء القطب أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى على

رسالة القشيرى صار يقول إسمعوا الى هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه ومنها قول الأستاذ أبى القاسم الجنيد نفع الله به لو علمت تحت أديم السماء علما أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وقصدته وقال الشهاب السهروردى الإشارة فى خبر فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم الى هذا العلم الذى هو العلم بالله وقوة اليقين دون علم البيع والطلاق والعتاق قال وقد يكون الإنسان عالما بالله ذا يقين وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كانت الصحابه رضى الله عنهم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفه مع أن فى علماء التابعين من هو أقوم لعلم الفقه من بعض الصحابة الى آخر هذه الفتوى .

ويقول رضى الله عنه فى الإجابه عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة : فرق بينهما بفروق منها أن الحقيقة هى مشاهدة أسرار الربوبية ولها طريقة هى عزائم الشريعه ونهاية الشىء غير مخالفة له على ما يأتى ، فالشريعة هى أصل ومن ثم شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة والحقيقه هى الفرع المستخرج من الشريعة ومن ثم شبهت بالدر والتبر والزبد والثمرة ومعنى سلب المخالفة بينهما المذكور أنه ليس بينهما اختلاف فى مجارى أحكام العبودية وإنما يختلفان فى مشاهدة أسرار الربوبية ولا شك أن أهلهما متفاوتون فى الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام وليس ذلك اختلافا بينهما وبيّن ذلك اليافعى رحمة الله تعالى بأن الشريعة علم وعمل

والعلم ظاهر وباطن والظاهر شرعى وغيره والشرعى فرض ومندوب والفرض عين وكفاية والعين علم صفات القلب وعلم أصل وعلم فرع والعمل عزائم ورخص والحقيقة مشتملة أيضا على قسمين علم وعمل والعلم وهبى وكسبى فالوهبى علم المكاشفة والكسبى فرض عين وفرض كفاية وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع فالكسبى الذى هو أحد علمى نوعى قسمى الحقيقة هو علم الشريعة والعمل الذى هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة والطريقة مشتملة على منازل السالكين وتسمى مقامات اليقين والحقيقة موافقة للشريعة فى جميع علمها وعملها أصولها وفروعها وفرضها ومندوبها ليس بينهما مخالفة أصلا نعم هنا شيئان أحدهما علم صفات القلب فأهل الحقيقه لهم به اعتناء وأهتمام جداً وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته وتبديل صفاته الذميمة وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به مع كونه فرض عين فى الشريعة والحقيقة بلا خلاف والثانى الرخص فأهل الحقيقه من حيث العلم والاعتقاد لا يشكون فى حقيقتها وأنها من رحمة الله بعباده وأما من حيث عملهم فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء الى الله بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته فمنهم من لا يقطعها إلا فى سبعين سنه ومنهم من يقطعها فى ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله .

وأختم بهذه الفتوى أقوال شيخنا وسيدنا الإمام ابن حجر فى تأييد طريق الصوفية وأنه هو عين الطريق المحمدى الشرعى العام . وسيأتى فى أحد

فصول الكتاب أسباب الاعتراض على هذا الطريق فتزداد بذلك هذه القاعدة قوة ووضوحا . ويزيدها وضوحا أيضا ما سأذكره فى فصلين آخرين :

أحدهما فى الدفاع عن طريق الصوفية وتأييده بأقوال العلماء والمنصفين وثانيهما فى أصول وقواعد وأحوال الصوفية . وأشرع بعون الله فى فصول الكتاب .

الفصل الأول

فى أسباب الاعتراض على التصوف

عُرف مما سبق فى المقدمة أن التصوف أخذ مظهرا خاصا لما دعت الضرورة إلى ذلك.وما ظهر شيء بصفة خاصة وسط أمور عامة إلا نُظر اليه فمُدح من القابل له وذمّ من غير القابل له. ومعلوم معاداة أهل الحق **« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين»** وللأولياء وراثة فى هذه المعاداة والمعارضه شهد بذلك الواقع فى العصور المختلفه **« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ».**

يقول الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بزروق ما ظهرت حقيقة قط فى الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها وإدخال ما ليس منها عليها ووجود تكذيبها كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبيين حقيقتها بانتفاء معارضها **«فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته »** وللوارث نسبة من الموروث وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل إنما يبتلى الرجل على قدر دينه فمن ثم كان أهل هذا الطريق مبتلين بتسليط الخلق أولا وبإكرامهم وسطا وبهما آخرا قيل لئلا يفوتهم الشكر على المدح ولا الصبر على الذم فمن أراده فليوطن نفسه على الشده **« إن الله**

يدافع عن الذين ءامنوا﴾ ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ فافهم انتهى وأهم الدواعى والأسباب للاعتراض على الصوفية :

١- الاعتقاد أنهم منفردون بعقائد وأحوال وأعمال وأقوال خارجة عن نطاق الشريعة المحمدية . ودفع هذا الاعتقاد وتبرئتهم منه سبق بالمقدمة وسيرد بعد فى الفصل الخاص باتباعهم للشريعة .

٢- عدم الإنصاف والمبادرة بالإنكار من غير بحث ووقوف على حقيقة طريقهم وأصولها الصحيحة . وأعتقد أن المنكر لو كان مشتغلا بصلاح حاله وتحسين صلته بربه ومتحليا بمكارم الأخلاق وآخذا من الدنيا ومتاعها بالقدر الضرورى الشرعى وهادئا فى الحكم على الأشياء جامعا لأطراف العلوم مراعيا للمناسبات والأحوال التى تمر بالأشخاص والجماعات لوقف على الحق فى طريق الصوفية ولم يره غير طريق المحمديين الشرعيين ومن ذاق عرف .

٣- عدم الوقوف على اصطلاحاتهم ورموزهم فيفهم من كلامهم غير المراد منه ويؤخذ عليهم . ولرمز الأمور أصل وهو ما روى أن رسول الله ﷺ قال يوما لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه أتدرى يوم يوم فقال أبو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتنى عن يوم المقادير أو كما قال . وروى أيضا أنه قال له يوما يا أبا بكر أتدرى ما أريد أن أقول فقال نعم

هو ذلك . وقد ذكر سيدى محيى الدين بن العربى فى كتابه الفتوحات المكية أن أهل الله لم يضعوا الإشارات التى اصطلحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم فإنهم يعلمون الحق الصريح فى ذلك وإنما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيئا لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب بحرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا . قال ومن أعجب الأشياء فى هذا الطريق بل لا يوجد إلا فيها أنه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاه وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف منهم لابد من ذلك إلا أهل هذه الطريق خاصة فإن المريد الصادق إذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه جلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الإشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم فى الخوض فى ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه الى آخر ما قال فى ذلك .

٤- اتساع أفقهم العلمى بسبب عدم تناهى الفيض الإلهى والتعليم الربانى . فيفهمون من الآيات والأحاديث معان واسعة يعتبرها القاصر غريبة وغير مطابقة للمعنى المراد . والحق أن القوم لما عملوا بما علموا وجلسوا مع الله بلا نظر ولا طلب لسواه منحهم العلم اللدنى قال تعالى فى عبده

الخضر ﴿ **وعلمناه من لدنا علما** ﴾ وقال جل شأنه ﴿ **يؤتى الحكمه من يشاء** ﴾ والحكمة هى العلم . ولو كان للمنكر ما للقوم من عبادة وأخلاق وزهد فى الدنيا وإقبال صادق دائم على الله لعلم ما يعلمون واستراح وسعد. وقد ورد عن سيدنا الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال « لو تكلمت لكم فى تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا » وما ذلك إلا من الفتح الإلهى والعلم اللدنى .

وهذا الإتساع العلمى أحد أسباب رمز القوم علومهم. قال شيخ الإسلام سراج الدين المخزومى رضى الله عنه : فى رمز الأشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن إفشاء أسرار الربوبية من غير ذوق فيقع فى إفشائه أو يكفّر أهل الله بفهمه السقيم ، الثانى أن فى ذلك إشاره لطالب هذا الفن أن يكون متجراً فى العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مشاهدة وذوقا ، الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه إلا كل جواد فى العلوم صنديد فى علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازى يقول ما أذن لى فى تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنتى عشرة ألف ورقة هذا

مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذى يخوض فيه القوم . وسئل سيدى على ابن وفا رضى الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التى تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فإن كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وإن لم يكن عندهم حكمة ولاحسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل أليس الذى أطلع شمس الظهيره ونشر ناصع شعاعها مع إضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمزجه الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه إلا أن يقول نعم هو تعالى عليم حكيم فإن قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخر تربو على هذه المفاسد قلت وكذلك الجواب عن مسألتك فكما أن الحق تعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة لإبصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغى لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها و أطال فى ذلك ثم قال وحسبك جوابا أن من دون المعارف والأسرار لم يدونها للجمهور بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها نهاه عنها- وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا

وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد - ثم قال وهل دون المجتهدون رضى الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمه به على التقرب من الملوك والأمراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا فكما أن المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذى يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجر نيتهم الصالحة وإن لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجر نيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين فى رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعانى بما يرقيهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم فتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بأثر هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم فى نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم فى تدوين دواء أمراض القلوب وآداب حضرة الحق تعالى فى جميع الأمور المشروعة فإن لكل مقام

حضورا وأدبا يخصه .

٥- ومن أسباب الاعتراض عليهم عدم تدوين الأئمة المجتهدين فى علوم القوم كتبا والجواب عنه كما قال سيدى عبدالوهاب الشعرانى : إنما لم يضعوا فى أمراض القلوب كتبا لأنها لم تكن ظاهرة على أهل زمانهم . وقال أيضا : لم يدون المجتهدون فى طريق القوم كتبا لأنهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك إذا حصل لهم زيغ . ثم قال : فكان اشتغال الأئمة المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبه لبقية الأمه .

٦- ومن أسباب الأعتراض عليهم عدم أقتصارهم على المشى على ظاهر الكتاب والسنه. والجواب عن ذلك قول سيدى عبدالوهاب الشعرانى أيضا : هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمه المجتهدين ومقلديهم فإنهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص مالا يحصى من الأحكام والوقائع كما هو مشاهد فإن رددت استنباط العارفين لزمك أن ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك إلى آخر ما قال .

٧- الحسد . ولو أن المنكر سلك بالفعل طريقهم وتخلق بأخلاقهم لازداد علما إلى علمه ولكن هكذا كانت سنة الله فى خلقه .

٨- محبة الجدال وذلك دأب الخالى من الحال الصحيح المصحح لصلته بربه والمعرّف له الطريق الأقوم الذى من أجله خلق الإنسان» . ولو أنه اهتدى للمطلوب منه وعرف قدر نفسه لرُحم من الجدال وذاق حلاوة القرب من الرب فأحب الحق وأحب أهله . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله غالب على أمره .

٩- قد ينكر البعض على الصوفية سدا للذريعة وخوفا على العوام ورحمة بالمحجوبين أن يقلدوهم فى أحوالهم وأقوالهم بدون الأهليه والتحقق وذوق مشاربهم بالفعل لا ردا ولا إبطالا لأحوال وعلوم الصوفية .

ومن هذا النوع تحذير أبى حيان فى نهره وبحره وابن الجوزى فى كتابه «تلبيس إبليس» كما ادعياه وحلفا عليه والله أعلم . ونسب ذلك للبقاعى أيضا بالنسبه لكلام سيدى عمر بن الفارض وهؤلاء مثابون بحسن النية والله المتولى .

١٠- وثم أمور أخرى يعترض عليهم فيها وستأتى الإشاره إليها والإجابه عنها بفصل خاص بالدفاع عن بعض الأقوال والأفعال والأحوال المنسوبة إليهم .

الفصل الثانى
فى الدفاع عن بعض أقوال وأفعال وأحوال منسوبة للصوفية

أسوق فى هذا الفصل أدله وبراهين وتقريرات وتحليلات وتوضيحات لبعض ما أخذ على سادتنا الصوفية أولياء الله وقد أشير الى بعض الأسباب المؤدية للاعتراض عليهم والإجابه عنها بالفصل السابق . أما فى هذا الفصل فأفصل وأوسع فى هذا الموضوع والله الهادى .

أما الأقوال والمعارف المفتوح عليهم بها فمنها الغريب المقبول وغرابته فى كونه خارجا عن نظام العلوم النقليه أو العقليه وأما قبوله فلكونه لم يتعرض لأصل اعتقادى أو أساس عملى شرعى قد يأخذه المنكر عليهم . ومنها الغريب غير المقبول عند غيرهم ممن لم يذق مذاقهم وسلك طريقهم . أما الغرابة فسبقت الإشاره إليها وأما عدم القبول فقد أشرت الى بعض أسبابه فى الفصل السابق وأتم الإجابه عن ذلك وتوضيح هذا الأمر فيما يأتى :

وصل - فى منابع علومهم رضى الله عنهم

ذكرت سابقا أنهم رضى الله عنهم من العاملين برسوم شريعتهم المحمدية المخلصين فى تحرى الكمال الذى كان عليه السلف الصالح وأن السبب الذى أدى الى حُسبانهم فرقة خاصة من بين طوائف الأمة هو تشعب الآراء

واختلاف الأغراض واتساع الدنيا ومشاغلها ووجود الغفلة عن طريق السلف الصالح بسبب هذا التشعب والاختلاف والاتساع فى الدنيا ومتعها . وبما أنه قد أحكم أساس الدين وكتاب الله قائم محفوظ وسنة النبى ﷺ محفوظة مجموعة والأحكام الشرعية قد قيض الله لاستنباطها من الكتاب والسنه وتحريرها وتنظيمها أئمة سابقين فما بقى لهم إلا العمل والإخلاص فيه وانتبهوا أيضا إلى أصول فى الدين ومعان دقيقه تغيب عن كثير من عوام المسلمين فعملوا بها وساروا على نهجها . هذه الأصول وتلك المعانى سترد فى فصل خاص بقواعد طريقهم وأحوال سيرهم . ومما انتبهوا له أيضا سنن محمدية وأحوال للصحابة والتابعين غابت عن غيرهم كان لهم بسبب الانتباه لها والعمل بمقتضاها الفتح الإلهى فى العلوم والأسرار الدقيقه وسترد أيضا الاشارة الى هذه السنن وتلك الأحوال عند ذكر قواعد طريقهم .

وروح هذه الأصول والمعانى والسنن والأحوال هو صدق التوجه الى الحق وتفريغ القلب مما سواه وتحرير العبودية الخالصة لوجهه الكريم . فيفيض عليهم الفتاح العليم من لدنه العلم السليم والفهم الدقيق فى النصوص من آيات وأحاديث وغيرها - يقول الله تعالى :﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾ ويقول ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾ وفى الحيث الشريف « من عمل بما علم ورثة الله علم مالم

يعلم» وقد لا يتحقق تفريغ القلب واستعداده للفتح إلا بالخلوة الحسية بشروطها التى لا تخل بنظام شرعى وبكيفيتها التى يعلمها الكمل من المرشدين المحمديين فالأصل فى حصول العلم الذى حملوا رايته هو محض فضل الله وتعليمه لهم بطريق الإلهام الصحيح المطابق للكتاب والسنة وسيأتى فى وصل خاص بتمسكهم بالشريعة ما يؤيد هذا التحقيق ويزيده بيانا وفائدة .

وصل ثان:فى تمسكهم بالشريعة

تقدم ما يشير إلى ذلك بالمقدمه وزيادة فى الفائده أسوق هنا ما تيسر والله المعين .

قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة . ويقول : إن الله تعالى يخلُص الى القلوب من بره حسب ما خلُصت القلوب به اليه من ذكره فانظر ماذا خالط قلبك . ويقول : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التعزف عن الدنيا كما قال حارثة : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . ويقول رضى الله عنه جوابا لرجل قال «أهل المعرفه بالله يصلون الى ترك الحركات» يجيبه رضى الله عنه بقوله : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه

عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها وأنه لأؤكد فى معرفتى وأقوى فى حالى . ويقول رضى الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من أقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

فأنظر إلى هذا التأسيس الشرعى لطريق القوم نطق به إمامهم . وما عليك إذا بلغك هذا وغيره مما سيأتى إلا أن تقف معه وتفهم طريقهم بمقتضاه وتتغافل عن غيره مما ينسب إليهم جهلاً بهم أو حسدا أو سوء تأويل أو دسّاعليهم وإذا قدّر أن تسلك مسلكهم عرفت من نفسك الحق وذقت ما ذاقوه والله الموفق .

وأنقل هنا أقوالا لسيدى محيى الدين بن العربى فى هذا التمسك بالشرع الشريف لما عُرف من الإنكار عليه أكثر من غيره مع ما علمت من الدفاع عنه رضى الله عنه وعن طريق القوم فى فتاوى الإمام ابن حجر المذكورة فى المقدمة. أول هذه الأقوال العقيدة الإسلامية وهى طويلة ذكرها رضى الله عنه بأول كتابه الفتوحات المكية ونقلتها بحالها فى كتاب خاص بترجمة الشيخ وأحواله رضى الله عنه سميته « تأييد طريق الصوفية فى المجموعة الحاتمية» وللاختصار أنقل هنا بعضها للتبرك والبيان . قال رضى الله عنه فى وصل

خاص بمقدمة الكتاب المذكور يتضمن ما ينبغى أن يعتقد فى العموم وهى عقيدة أهل الإسلام مسلمة من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان فيا إخوتى المؤمنين ختم الله لنا ولكم بالحسنى لما سمعت قوله تعالى عن نبيه هود عليه السلام حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته « إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون » فأشهد عليه السلام قومه مع كونهم مكذبين به على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والإقرار بأحديته لما علم عليه السلام أن الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه ويسألهم عما هو عالم به لإقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدى كل شاهد شهادته وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وكل من سمعه ولهذا يدبر الشيطان عند الأذان وله حصاص وفى رواية وله ضراط وذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة فيلزمه أن يشهد له فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى فى سعادة المشهود له وهو عدو محض ليس له البناخير البتة لعنه الله وإذا كان العدو لابد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك فأحرى أن يشهد لك وليُّك وحبيبك ومن هو على دينك وملتك وأحرى أن تُشهده أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان فيا إخوتى ويا أحبائى رضى الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى فى كل لحظه وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولا وعقدا أن الله تعالى إله واحد لا ثانى له فى

الوهيته منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملكٌ لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهه والتلقاء مقدس عن الجهات والأقطار مرئى بالقلوب والأبصار إذا شاء استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده .

واستمر رضى الله عنه فى سرد ما يتعلق بالمولى جل شأنه من صفات التنزيه والكمال وسرد مبدعاته وسائر عقائد أهل السنه الصحيحه التى أنعقد عليها إجماع المسلمين .

ثم أنقل هنا بعض أقواله فى التمسك بالشريعه والكثير منها منثور بكتبه وفى الكتاب الخاص بترجمته رضى الله عنه فارجع إليها بعد أن تتحلى بالتسليم وتتصف بالإنصاف وتطلب الحق لذاته وترجو سعادتك من وراء بحثك وطلبك لعلوم وأحوال القوم لا نفس البحث والطلب النظرى الجدلى . يقول رضى الله عنه فى تعريف الطريق : عباره عن مراسم الحق المشروعةً التى لا رخصة فيها من عزائم ورخص فى أماكنها فإن الرخص فى أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة فإن كثيرا من أهل الطريق لا يقول بالرخص وهو غلط

فإنه يفوته محبة الله فى إتيانها فلا يكون له ذوق فيها فهو كمثل الذى يقضى ولا يتنفل دائما وهو غاية الخطأ بل المشروع أن يتطوع فإن نقصت فرائضه كملت له من تطوعه وهو النوافل وإن لم ينتقص منها شيئا كانت له نوافل كما نواها ويحصل له ذوق محبة الله إياه من أجلها فقد أبطل شرع الله من لم تكن هذه حاله فإنه إن كانت فريضته تامه لم يجز قضاؤها فقد شرع ما لم يُشرع له ولم يأذن به الله وإن الله ما يكتبها له نافلة فإنه ما نواها وقد أساء الأدب مع الله حيث سماها الله تطوعا وقال هذا قضاء فلا يحصل له ثمرة النوافل لأنها غير مَنوية ولا ورد فى ذلك شرع أنه يكتب له ما نواه قضاءً نافلة .

ويقول رضى الله عنه فى الباب السادس ومائة من الكتاب المذكور : وما لنا طريق إلى الله إلا على الوجه المشروع وله الأقوال الدالة بوضوح على التمسك بالشرع الشريف وأنه حال الصوفية وطريق الأولياء نقلت بعضها فى الكتاب الخاص بترجمته رضى الله عنه من الأبواب الآتيه بكتابه الفتوحات المكية ولم أنقلها هنا مراعاة للأختصار وهذه أرقام الأبواب : ١٠٨-١١٣-١٤٦-١٤٨ وله غير ذلك بكتب أخرى كمواقع النجوم والتراجم إلا أنى سأختم هذا الجزء بقوله رضى الله عنه فى أخر الباب ١٤٦ : فإياك أن ترمى ميزان الشرع من يدك فى العلم الرسمى والمبادرة لما حكم به وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول

عليه فإنه مكر نَفْسي بصورة إلهية من حيث لا تشعر وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ويرجحون كشفهم وما ظهر لهم فى فهمهم مما يبطل ذلك الحكم المقرر فيعتمدون عليه فى حق نفوسهم ويسلمون ذلك الحكم المقرر فى الظاهر للغير وهذا ليس بشيء عندنا ولا عند أهل الله وكل من عول عليه فقد خلط وخرج عن الانتظام فى سلك أهل الله ولحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وربما يبقى صاحب هذا الكشف على العمل بظاهر ذلك الحكم ولا يعتقده فى حق نفسه فيعمله تقريرا للظاهر ويقول ما أعطى من نفسى لهذا الأمر المشروع إلا ظاهرى فإنى قد اطلعت على سره فحكمه على سرى خلاف حكمه فى ظاهرى فلا يعتقده فى سره عند العمل به فمن عمل على هذا منه فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وخرج عن أن يكون من أهل الله ولحق بمن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم فهو يظن أنه فى الحاصل وهو فى الفائت فتحفظوا ياإخواننا من غوائل هذا المقام ومكر هذا الكشف فقد نصحتكم ونصحت هذه الطائفه ووفيت بالأمر الواجب علىّ فيه .

فانظر أيها المنصف لهذا التمسك الكامل بالشرع الشريف ظاهرا وباطنا وتحرير الكشف على الكتاب والسنة ومنه يُدفع اتهام القوم بأنهم باطنية حاشاهم من ذلك . وأزيدك دفعا لهذا الاتهام وإيضاحا لتمسكهم

رضى الله عنهم بالشرع الشريف بقول آخر لسيدى محيى الدين أيضا ذكره فى الباب ١٤٨ بكتاب الفتوحات المكية قال رضى الله عنه : لاحسن يقع به المنزلة عند الله ولاقبح يقع باجتنابه الخير من الله إلا ما حسنه الشرع وقبحه فلما رأينا الحمد والذم على الفعل من جهة ما شرعا نظرنا كيف نجمع طرفين وواسطه لنجعل حكم الطرفين مخالفا لحكم الوسط الذى هو محل الاعتدال فنقول : لا يخلو الإنسان أن يكون واحدا من ثلاثة بالنظر الى الشرع وهو إما أن يكون باطنيا محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدى إلى تعطيل أحكام الشرع والعدول عما أراد الشارع بها كالباطنية . وكل ما يؤدى الى هدم قاعدة دينية مشروعة فهو مذموم بالإطلاق عند كل مؤمن . وإما أن يكون ظاهرياً محضاً متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهذا أيضا مثل ذلك ملحق بالذم شرعا- وإما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم وهذه حالة الوسط وبه صحت محبة الحق له . قال تعالى أن يقول نبيه ﴿ **فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ فاتباع الشارع واقتفاء أثره يوجب محبة الله للعباد وصحة السعاده الدائمة . ويقول فى هذا المعنى شعراً فى كتاب مواقع النجوم .

فنجـــاة النفس فى الشـــــرع فلا ∴ تك إنسانا رأى ثم حرم

واعتصم بالشرع فى الكشف فقد ∴ فاز بالخير عُبيد قد عُصم

الى آخر القصيدة . وهذا بيت آخر صريح فى ذلك بكتاب مواقع النجوم :

ما نال من خلّى الشريعة جانباً ∴ شيئا ولو بلغ السماء منارُهُ

وأختم أقواله رضى الله عنه بهذا البيت فى هذا المعنى :

إن الشريعة حد مـــــاله عوج ∴ عليه أهل مقامات العلا دَرَجُوا

ولا يفوتنى أن أذكر أن سيدى محيى الدين رضى الله عنه اجتمع بمعتزلى المذهب وناقشه وصحح له المذهب الاعتقادى الذى عليه أهل السنة والصوفية جميعا على هذا المذهب فاعلم ذلك .

ولسيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه مؤلف هام فى إثبات هذه الحالة الشرعية التى عليها الصوفية اسمه لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية جمع فيه التكاليف الشرعية من أوامر ونواه ومستحبات وآداب قال فيه بعد التقديم بقوله : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ وبعد ذكر قواعد لم أذكرها اختصارا قال رضى الله عنه : أن نتبع السنة المحمدية فى جميع أقوالنا وأفعالنا وعقائدنا . وقال : إذا لم نجد أحداً نتعلم منه العلم الشرعى فى بلدنا أن نسافر الى بلد فيها العلم وهى هجرة واجبة علينا وقال : أن نميط الأذى عن طريق المسلمين المحسوسة والمعنوية فالأولى معروفة والثانية هى إزالة الشُبَه التى تعرض فى عقائدهم

فنميط الأذى عنها بما أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا للحقائق فيُكتب لنا إن شاء الله نظير الثواب الذى ورد لمن أماط الأذى المحسوس كالحجر والشوك ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد الى سلوك على يد شيخ لا أحد عنده أعلى منه معرفة بالله عز وجل ليزيل الشبهة العارضة فى عقائد أهل الإنكار من أكابر العلماء فضلا عن غيرهم وقد وضعت فى ذلك ميزانا نحو كراسة أزلتُ بها غالبَ الإشكالات التى فى مذاهب الفرق الإسلاميةَ كالجبرية والمعتزلة ووضعت ميزانا أخرى تزيل الشُّبَه التى تعرض للعبد فى طريق المعرفه بالله تعالى حاصلها أن الله تعالى لم يكلف عبداً بأن يعرفُ الله تعالى كما يعرف اللهَ نفسه أبداً وأن لله تعالى بنفسه علما اختص به لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل لأنهم لو علموه لساووه فى العلم ولا قائل بذلك من جميع الملل فضلا عن دين الإسلام وذلك أنه تعالى لا يتحد مع عباده فى حد ولا حقيقة ولا فصل ولا جنس فرُدّ يا أخى جميع ما ورد فى الآيات والأخبار من التنزيه الى مرتبة علمه تعالى بنفسه ورُدّ جميع ما ورد فى الآيات والأخبار من الصفات التى ظاهرها التشبيه الى مرتبة علم خلقه تعالى به فما أحوَج الناسُ الى التأويل إلا ظنهم بأن الله تعالى كلفهم بتعقل مرتبة التنزيه التى لا يتعقلونها وإلا فلو علموا أنها خاصة به تعالى ما أولوا شيئا وكان يكفيهم الإيمان بأنه ليس كمثله شىء - واستمر رضى الله عنه فى تحقيق التنزيه وعدم التكييف بما يقنع ويشبع . وقال : ألاَ تتدين بفعل شىء

من البدع المذمومة التى لم توافق الكتاب والسنة - وقال : ألا نتهاون بترك شىء من آداب السنة المحمدية على سبيل التسهيل ، وهكذا أفاض رضى الله عنه فى بيان الأوامر والنواهى الشرعيه المكلف بها كل مسلم متبع محافظ .

ثم يذكر فى كتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وهى عهود المشايخ فى الطريق ما أنقل بعضه هنا للاختصار : قال رضى الله عنه : أن نرى نفوسنا دون المسلمين جميعا بطريقه الشرعى . وقال : أن نخلص التوحيد لله تعالى فى الأفعال والأقوال والملك . وقال : أن نراعى آداب المساجد فلا نخرج فيها الريح احتراما للحفظة . وقال : أن نعمل بأحاديث الفضائل ولو ضعيفة . وقال : أن تكون على طهارة حال الذكر والتلاوة وماشاكلها لأنها مناجاة للحق. وقال : أن نشدد فى الإنكار على المتفق على تحريمه زيادة على المختلف فيه .

ويكفى هذا القدر من كلام سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى هذا المحل . وكتبه رضى الله عنه كلها آداب شرعية وقواعد تربية وتوصيل الى حضرة الحق والموفّق يحصل له ذلك وينتفع به عند الممارسة والاشتغال بطريق الصالحين .

وأما سيدنا الإمام الحافظ المحدث الورع أبو محمد عبدالله ابن أبى جمرة فقد أورد الكثير من أحوال الصوفية وقواعدهم وأدلتهم فى سيرهم يستنبط

ذلك رضى الله عنه من الأحاديث الشريفة الجامع لها من صحيح الإمام البخارى والشارح لها فى كتابه « **بهجة النفوس** » وأسوق هنا بعضها للتبرك وتأييدا لتمسك القوم بالشريعة . قال رضى الله عنه : فى أحد وجوه الحديث الرابع عشر بعد المائتين وفى هذا الوجه دليل لأهل الصوفة لأنهم يظنون فى أنفسهم كل مكر وخديعة فلا يستعملون ما تشير به عليهم شيئا إلا إن كان موافقا للكتاب والسنة . وقال فى أخر شرح الحديث الأربعين بعد المائتين وفى هذه الأوصاف دليل لطريق أهل السلوك لأنهم يطلبون أنفسهم بتوفية أوصاف الإيمان فى أنفسهم ومع غيرهم وقد ذُكر عن بعضهم أنه جاءه بعض أخوانه يطلب منه سلفا فلما أخرج له ذلك السلف خرج وهو باك فقال أخوه ما أبكاك قال له تفريطى فى حقك حيث جئت تطلب منى السلف واستغفر الله مما جرى منه . وقال فى آخر شرح الحديث الثانى والستين بعد المائتين (وفيه دليل) لأهل الصوفة المتبعين للسنة والسنن لأن طريقهم الجد فى اتباع الأوامر واجتناب النواهى ودوام الذكر شأنهم وبه فرحهم فهم الذين فهموا ما لـه خلقوا حتى صار حالهم ومقالهم على حد سواء فهموا فسعدوا إذ علموا وعملوا بما علموا وغرسوا الشجرة فجَنواْ ثمرها أولئك موضع نظر الله من خلقه بهم يَرحم العباد والبلاد أعاد الله علينا من بركاتهم فى الحياة والممات .وقال فى شرح الحديث الرابع والسبعين بعد المائتين فى هذا دليل لأهل السلوك فى اقتدائهم العجيب الذى لا يقدر أحد أن يضاهيهم فيه

وعقب علي ذلك بواقعة لأحدهم . وفى شرح الحديث الثانى بعد المائه يقول : وفيه دليل على أن طريق الصحابة الجمع بين الحقيقة والشريعة يؤخذ ذلك من قوله بعد ما رماه بسهمه حبسه الله فالشريعة هى ما كان من سببه فى حبسه برمى السهم وأقر بحقيقة الحبس لله تعالى وهى الحقيقه فجمع بين الطرفين وهو أعلى الطرق .

وفى آخر شرح الحديث السادس والثلاثين بعد المائه يقول : وبهذا المعنى فضل أهل الصوفة غيرهم لأنهم جعلوا كل تصرفاتهم لله وبالله حتى أنهم لم يتركوا لأنفسهم فعلا مباحا إلا أنهم يترددون بين واجب ومندوب وأكدوا الواجب بحسن النية فيه بالإيمان والاحتساب وأخرجوا المباح الى المندوب لأنهم أتخذوه عونا على الطاعة وأحضروا النية فى ذلك مع تكرارالأعمال والأنفاس فصَفْوا حتى تسموا بالصفوة وهو فضل الله يوتيه من يشاء وأما بقية أقواله وأستشها داته رضى الله عنه فأدع ذكرها هنا للاختصار .

وفى كتاب عوارف المعارف للإمام السهر وروى الكثير من الأقوال الدالة على تمسك القوم رضى الله عنهم بالشريعة وأترك ذكرها هنا للاختصار . والكتاب المذكور مرجع هام فى فهم التصوف وأحوال أهله ومنه تعلم أن التصوف هو التدين لاغير . وأما كتاب قواعد التصوف للشيخ زروق فقد ألفه صاحبه للجمع بين الشريعة والحقيقة ووصل الاصول والفقه بالطريقة .وفى الاطلاع على هذا الكتاب وقوف على حقيقة طريق القوم وقواعده خصوصا

وان سيدنا صاحب الكتاب إمام فى العلوم الرسمية . وهذا يسير من أقواله فى إثبات تمسك القوم بالشريعة الغراء . قال رضى الله عنه : صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالي وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرط (ولا يرضى لعباده الكفر) فلزم تحقيق الإيمان (وإن تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما دونه فلزم الجميع لتلازمها فى الحكم كتلازم الأرواح للأجساد ولا وجود لها إلا فيها كما لا حياة لها إلا بها فافهم . ومنه قول مالك رحمه الله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق الى آخر ما قال فى القاعدة الرابعة من كتابه المذكور .

وسيأتى فى أحوالهم وأصول طريقهم من هذا الكتاب ما يزيد الفائده ويحقق المطلوب من بيان تمسك القوم بالشريعة فاسمع هذه الجواهر الغالية الدالة على ما أردت بيانه . قال أبو سليمان الدارانى من أئمة القوم : إنها لتقع النكتة من كلام القوم فى قلبى أياما فأقول لا أقبلك إلا بشاهدىْ عدل الكتاب والسنة واسمع لسيدى عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه إذ يقول :

ولا تثبت نفسك فى شىء إلا فى الأوامر والنواهى فإنه أثبتك فيها .

ولسيدى داود بن ماخلا من أكابر أهل الطريق ديننا هذا قسمان ظاهر علم

وباطن حقيقة فظاهره مضبوط بالأصول والنقول وباطنه مضبوط بأنوار القلوب فمن أتاك بشيء منها فإستشهد عليه بما هو منه فالظاهر بشواهده والباطن بشواهده فمن قبل شيئا من ظاهر بغير نقل ثقة زلّ ومن قبل شيئا من باطن بغير شهود قلب ضل والله ليس قصد الدعاة الى الله تعالى علوما ولا أحوالا ولا مقامات ولا خصائص ولا غير ذلك وإنما قصدهم جمع كلمة الدين باطنا كما هى مجموعة ظاهرا واسمع هذه الأقوال الجامعة فى إثبات تشرع القوم رضى الله عنهم وما بعدها للمنصف شك فى شرعية طريق القوم قال سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه : من لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا شريفا فليس من أولادى ولو كان ابنى لصلبى وكل من كان من المريدين ملازما للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدى وإن كان من أقصى البلاد . ويقول ليس أحد من القوم مبتدعا إنما هم متبعون فى الأدب لسيد الأمم . ويقول أيضا : والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحةً ودخلوا تحت الأوامر لاستَغنوا عن الأشياخ ولكن جاءوا إلى الطريق بعلل وأمراض فاحتاجوا الى حكيم . وكان إذا أخذ العهد على فقير يقول له يا فلان أسلك طريق التمسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام واتباع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية إلى أخر ما قال رضى الله عنه . فارجع الى هذه الجواهر المنثوره فى ترجمته رضى الله عنه

بكتاب الطبقات لسيدى عبدالوهاب الشعرانى وكثير منها أيضا بالتراجم الأخرى للرجال بهذا الكتاب والله الموفق للصواب . وحكى عن سلطان العارفين أبى يزيد البسطامى قدس سره أنه قصد يوما زيارة مشهور بالصلاح فى مسجد فلما نظره يبزق نحو القبلة رجع ولم يسلم عليه وقال هذا ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين .

وسيأتى فى أقسام أخرى من الكتاب أسانيد وأدلة لبعض أحوال القوم ورسومهم تعتبر زيادة فى إثبات شرعية الطريق . وأختم هذا الوصل بالملاحظة المشهودة للمنصف المهتم بأحوال الصالحين وذلك أن التصوف كان حالا لازما وأمرا ملازما للعلماء العاملين فى سائر الأزمنة مما يؤيد أن التصوف ليس أمرا مبتدعا فى الدين ولا هو بنهج آخر غير ما عليه سائر المسلمين المتمسكين بدينهم العاملين بإخلاص وصدق لنيل مطلوبهم وقد ذكرت فى مقدمة الكتاب بعَض أعلامهم المدافعين عن طريقهم وإليك أعلام أخر منهم انتسبوا للشيخ أبى عبدالرحمن السُلمى وهو من أئمة القوم السابقين وممن اشتغلوا بدراسة الحديث وطلبه وكتبه وله شيوخ فيه منهم المحدث الحجة العالم أبو الحسن الدارقطنى .

فمن المنتسبين له رضى الله عنه : أبو بكر البيهقى الحافظ الفقيه الشافعى وأبو محمد الجوينى إمام عصره بنيسابور والحافظ أبو منصور وهو

ثقة فاضل من أصحاب أبى حنيفة وغير ذلك من العلماء العاملين ومن العلماء الأولياء أيضا الشيخ تقى الدين السبكى والد التاج السبكى وقد صحب فى التصوف الإمام ابن عطاء الله الكسندرى . والشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ عبدالوهاب العفيفى وكان عالما من علماء الأزهر وأحد المذكرين على الطريقة الخلوتية . والشيخ الحفنى أحد شيوخ الأزهر الشريف والشيخ الدردير والشيخ الصاوى والشيخ عبدالله الشرقاوى أحد شيوخ الأزهر أيضا والشيخ سراج الدين البلقينى وكان قائما بخدمة مجلس الصلاة على النبى ﷺ الذى أنشأه سيدى نور الدين الشونى بالجامع الأزهر . والشيخ حسن العدوى وغيرهم ممن عرفوا بالصلاح والولاية فى حياتهم وعرفت لهم الكرامة بعد انتقالهم نفعنا الله بهم . ويذكر سيدى عبدالوهاب الشعرانى بآخر كتابه الطبقات الكبرى تراجم مختصرة لشيوخه فى العلم الرسمى والتربية الدينية ويذكر سنىّ أحوالهم وبعض كراماتهم مما يجعل أمر الصلاح والولايه شاملا لكل عامل مخلص فى عبادته لربه .

ويكفى ما ذكر للاختصار .

وصل ثالث- جامع لتحليل بعض أحوالهم ورسومهم والتدليل على بعض أقوالهم وعلومهم

أولا - اتخاذهم الشيخ المربى

علم مما سبق أن طريق القوم هو نفس الطريق المشروع لعموم الأمة وأن رجاله هم طائفة من طوائف العلماء العاملين أو عُبّاد مجتهدون أو زهاد مدركون لحقيقة الاعتدال فى طلب الدنيا والاشتغال بالأولى والأبقى والأسمى وعُلم أيضا أنه لولا العلل النفسية والأغراض الشخصية التى أوجدتها حالة الاتساع فى الدنيا وتشعب الفهوم والأراء ما كان لطريق القوم بروز خاص ولا كانت هناك حاجة لشيوخه وأئمته . فمن هنا كان لشيوخ الطريق منصب ضرورى هو القيام بالتربية والتوجيه للطالبين . وهذا هو الأمر الواقع المشهود فى كل فن وعلم وعمل وسلوك وتربية أياً كان نوعها . وإرسال الرسل خير شاهد وإنابتهم من يقوم عنهم بوظائف الإرشاد والتعليم والتقويم معلوم فى الدين .

ثانيا - تعدد أسماء ورسوم طوائفهم

وذلك أمر عادى معلوم فى كل الطوائف والجماعات أياً كانت مهماتها وأعمالها ومرجع ذلك للتمييز الذى يقتضيه تفرع الأصول واختلاف الألوان

والمشارب وتعدد طرق السلوك لتعدد مآخذ أئمة السلوك من البحر الواحد المحمدى كما هو شأن أئمة المذاهب والعقائد .

ثالثا- الانتساب فى السلوك والارتباط بالسلاسل المعروفة لديهم

لا يخفى ما فى ذلك من ارتباط القلوب والأرواح وتوثيق الصلات بين الفروع والأصول وتصحيح الأخذ من الأصل المحمدى خصوصا إذا ثبت اتصال طرقهم بهذا الأصل الشريف وقد أفاد عن ذلك الإمام ابن حجر الهيتمى فى كتابه الفتاوى الحديثية وللاختصار - أقتصر على الإشارة الى المصدر للرجوع إليه .

رابعا - التلقين ولبس الخرقة وما فى معناهما

سندهم فى ذلك ما روى من أن النبى ﷺ لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى - فأما التلقين للجماعه فقد حكاه شداد بن أوس الصحابى . وأما التلقين الفردى فقد ذكره سيدنا الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وتفصيل ذلك بكتاب المفاخر العليه فى المآثر الشاذلية وغيره -وفى قواعد الشيخ زروق : لباس الخرقة ومناولة السبحة وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة من علم الرواية إلا أن يقصد بها حال فتكون من أجله وقد ذكر ابن أبى جمرة أخذ العهد فى باب البيعة وألحقه بأقسامها وأخذوا

لباس الخرقة من أحاديث وردت فى خلعه عليه السلام على غير واحد من أصحابه ومبايعة سلمة بن الأكوع تشهدُ لإيداع السر فيها ووجهها وطريقها ليس هذا محله نعم هى لمحبٍ أو منتسبٍ أو محقق وفيها أسرار خفية يعلمها أهلها آهـ وفى عوارف المعارف للإمام السهروردى بهامش كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى وكتاب تأييد الحقيقة العلية للجلال السيوطى تفاصيل أخرى فارجع إليها . وأكتفى بذلك للاختصار والصادق المهتم بتحصيل المطلوب لا يحتاج لطول البحث والتنقيب عن أحوال هى لأهلها شعائر ورسوم ظاهرة بل يهمه تعمير باطنه بالاشتغال الدائم بمطلوبه وتحصيل المراد من سلوكه بلا كثير تكلف وتفتيش علمى نظرى .

خامسا - خلوتهم

أصل القوم فى ذلك ما كان عليه رسول الله ﷺ قبل البعثة من محبة الاختلاء فى غار حراء وتحنثه فيه الليالى ذوات العدد وتزوده لذلك . وفى الغار كان نزول الملك وأمر ذلك معلوم - ثم إن القوم لهم اهتمام بتصحيح رسوم الخلوه وشروطها وآدابها ويرجع ذلك لأسانيد شرعيه كالوارد فى عدد أيام التبتل والعباده -قال تعالى ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليله وأتممناهابعشر فتم ميقات ربه أربعين ليله**﴾ وحديث « من

أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ولهم فى تقييد الوقت بالأربعين يوما رجاء وعزم أن يسرى حكم ذلك وسره فى جميع أيامهم وأوقاتهم . والصوفية مخالفون فى حكم خلواتهم هذه للرهبان والبراهمة والفلاسفة لاستنادهم فى أصلها للشرع الشريف كما ذكر ولسيرهم فيها السير الشرعى الاتباعى السليم وقصدهم بها وجه الله وتصحيح ما يحصل لهم فيها على وفق الكتاب والسنة ومرجعهم فى هذا التصحيح شيوخهم العارفون بشروط وآداب الخلوة .

سادسا - السماع

عقد العارف السهروردى فى كتابه عوارف المعارف بابا خاصا فى السماع استفتحه بقوله تعالى ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ ثم قال : هذا السماع هو السماع الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع . وأتبع ذلك بآثار أخرى للسماع حسنة مطلوبة .

واستشهد بوقائع للسلف الصالح فى السماع المؤثر المفيد لرقة القلب وحضوره وهو السماع المجمع على حله ثم قال : إنما الاختلاف فى استماع الأشعار بالألحان رقد كثرت الأقوال فى ذلك وتباينت الأحوال . ثم اعتبر رضى الله عنه المنكر فى السماع اللهو واللعب . وأيد تجويزه بآثار من الحديث الشريف وأقوال الصحابه والتابعين . وأيضا حقق الإمام أبو طالب المكى أقسام السماع فقال : فى السماع حرام وحلال وشبهه فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله علي صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معانى تدله على الدليل ويشهده طرقات الجليل فهو مباح .وإن اردت زيادة الفائده فى تحقيق أنواع السماع وحكم كل مسموع فارجع الى هذا الباب المذكور بكتاب عوارف المعارف للسهروردى رضى الله عنه وغيره من الكتب المحققه لذلك فستخرج من ذلك بعلو مقصد الصوفية فى السماع والانتقال به من ظاهر المسموع الى باطن المعنى المقرب للحق المبدل لطبيعة الغفلة والإعراض المثمر للفهوم والعلوم اللدنية وإنما الأعمال بالنيات .

سابعا - اجتماعهم على الذكر

يقول الله تعالى ﴿ **فاذكرونى أذكركم**﴾ ويقول ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**﴾ ويقول جل شأنه ﴿ **ومن أظلم**

ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ والآيات الواردة فى فضائل الذكر والدعوة إليه كثيرة . وفى الحديث الشريف ما أورده الإمام النووى فى كتابه الأذكار بعد قوله باستحباب الجلوس فى حلق الذكر قال: ويكفى فى ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله قال حلق الذكر فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوابهم» وروينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه أنه قال خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة .

وقد حقق ابن حجر فى شرح المشكاة مجالس الذكر بقوله مجالس الذكر مجالس سائر الطاعات ومن قال هى مجالس الحلال والحرام أراد التنصيص على أخص أنواعه .

وذكر الشيخ زروق رضى الله عنه فى كتابه قواعد التصوف مبيحات الذكر والاجتماع عليه والجهر به فمنها :

حديث « من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه» وقال ابن عباس -

ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر رواه البخارى والجهر فى ذكر العيد فى أدبار الصلوات وبالثغور وفى الأسفار . وقد جهر عليه السلام بأذكار وأدعية فى مواطن جمة وكذا السلف - ثم حقق رضى الله عنه كون الاجتماع على الذكر والجهر به بصيغة واحدة بقوله : فإن قيل يجتمعون وكل على ذكره فالجواب إن كان سرا فجدواه غير ظاهرة وإن كان جهراً وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لايسوغ فى حديث الناس فضلا عن ذكر الله فلزم جوازه بل ندبه نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذاكر فى التوحيد من أبعد البعيد .

وقال بعد ذلك : والجمع للدعاء والذكر والتلاوة قد صح ندب كل ذلك بالأحاديث المتقدمة فلا يصح دفع أصل حكمته وإن أوثر عليه غيره فلأفضلية الغير عليه كالذكر الخفى وما يتعدى من العبادات نفعه كالعلم والجهاد يقول الفقير جامع هذا الكتاب إن التفضيل نسبى وبحسب المواضع فالذى لا يرقق حجابه ويزج به فى الحضور القلبى غير الذكر الجهرى الجمعى هو فى حقه لازم وأفضل بالنسبة إليه . والذى صفا سره ورق حجابه وتفتحت عيون قلبه اكتفى بالذكر الخفى فى حقه بل ولا يتمكن إذا غلبه حال الصفاء والحضور الروحى أن يجهر بالذكر ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال . وإن أردت

زيادة تحقيق الاجتماع على الذكر بالهيئة المعروفة عند الصوفية فارجع الى كتاب نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر للجلال السيوطى وكتاب حجة الذاكرين ورد المنكرين وفيه الرد على المحتجين بأسانيد أوردوها فى الإنكار على الاجتماع على الذكر والجهر به وأيضا بكتاب مدارج السلوك الى ملك الملوك للشيخ أبى بكر بنائى وأيضا بكتاب عوارف المعارف للسهروردى . وكتاب مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح للشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى وكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى وأُتبع هذا التحقيق تحقيقا آخر فى استناد أوراد الصوفية وأذكارهم الى أصول شرعية : ذكر الإمام ابن حجر المكى فى كتابه الفتاوى الحديثية أن أوراد الصوفية التى يقرءونها بعد الصلوات على حسب عاداتهم فى سلوكهم لها أصل أصيل فقد روى البيهقى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلّى من الدنيا وما فيها ولأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلّى من الدنيا وما فيها واستطرد بعد ذلك فى سرد الأحاديث المتعلقة بإثبات الإجتماع على الذكر وحقق أيضا فى نفس هذه الإجابة جواز الجهر بالذكر فى المناسبات الملائمة لذلك ودفعا للوساوس وإيقاظا للقلوب وقد أقر ﷺ من دعا بياودود يا ودود ياذا العرش المجيد وقال للذى دعا بأنى أسألك

بأنك الله الأحد الصمد .... إلخ .. لقد دعوت الله باسمه الأعظم إلى غير ذلك . وقد حقق سيدنا الإمام الغزالى رضى الله عنه ونفعنا به فضيلة الذكر والاجتماع عليه بكتابه إحياء علوم الدين كما أورد الفضائل الخاصة بكل نوع من أنواع الأذكار كالتهليل والتسبيح والتحميد والاستغفار والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ - ثم جمع أذكاراً مأثورة عن النبى ﷺ انتخبها من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله . وبعد ذلك بيّن الأوراد والوظائف المطلوبة نهارا وليلا مرتبة بحسب الأوقات .

ولا يخفى أن الاستزادة من الخيرات مطلوبة مقررة شرعا وعقلا وعرفا فإذا ما فتح الله على عبد من عبيده بثناء خاص أو مناجاة خاصة أو دعوة خاصة محكمة المعنى سليمة المبنى وكان الفتح المذكور نتيجة للطاعات وصفاء الروح بسبب الحضور الدائم والتلقى الإلهامى وكان هذا المفتوح عليه بهذه الأوراد والأحزاب إماماً فى طريق الصالحين معروفا بالتمسك بالشرع الشريف ومحبة الخير للمسلمين وعارفا بأحوال الناس خصوصا الطالبين منهم لطريق الصالحين فما المانع من إقرار ما أضافه الى الأوراد المأثورة من فتوحاته الخاصة ومسلّم أن للأصول الفقهية فروعا مستنبطة منها فلماذا نسلم بذلك ولا نسلم بالمنسوب إلى الصوفية من أحزاب وأوراد وهم الأئمة فى

طريقهم الخاص .

وثم شاهد آخر لصحة ما ينسب إلى السادة الصوفية من الأحزاب والأوراد الخاصة وهذا الشاهد حسى واقعى هو ظهور الآثار الحسنة والفوائد الكثيرة لمن يقرأ هذه الأحزاب خدمة لربه وإرادة لوجهه الكريم فقط لا لغرض أخر وخصوصا إذا كان منتسبا لأهل هذه الطرق نفعنا الله بهم جميعا .

ثامنا - الإصطلاحات المشهورة عندهم وأصولها

ذكر فيما مر أن التصوف ليس أمرا مستقلا فى الدين وليس لأهله شعائر خارجة عن السنة المحمدية وليس الممنوح لهم من العلوم والأسرار نتيجة فكر وروية واجتهاد . فما صنف أئمتهم الكتب والرسائل إلابعد وصول للمطلوب الحق وقطع للعقبات المانعة من التحلى بالعبودية الخالصة وبعد أن عرفوا منازل السائرين ومقاصد المتوجهين الطالبين وعرفوا علل النفوس والقلوب والأرواح وما يناسبها من الإصلاح والتقوية والترقية .ولهذا يجد المحقق الذائق لأحوالهم والمطلع المنصف على علومهم استناد التعريفات والاصطلاحات الواردة فى كتبهم والجارية على ألسنتهم فى تربيتهم الخاصة الى الأصول الشرعية ففى كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام أبى إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى الهروى الفقيه الحنبلى المفسر الصوفى ارتباط كل

باب من أبوابه بآية شريفة . وهذه الأبواب هى الرسوم التى يوردها الصوفية فى طريقهم ويعملون على ضوئها فارجع الى هذا الكتاب تجد هذا الارتباط المحكم السليم .

ويكفى هذاالمثال فى دفع شبهة من يرى أن العلوم الصوفية مستقلة عن العلوم الشرعية والصادق فى طلب الشيء يبذل النفيس فى تحصيله والموفق هو الله.

تاسعا - التربيه الباطنية بالاستمداد والتوسل

غرضى فى هذا الجزء بيان وجهة وحال الصوفية فى تمسكهم بالتأثيرات والتأثرات الباطنية وحصول النتائج المرجوة من هذه الاتصالات الروحانية القلبية وبيان ما يتبع ذلك من استمداد وانتفاع بالرجال الأحياء والمنقولين وهو المعبر عنه بالتوسل فأقول وبالله التوفيق ومنه العون معروف ومشهود وواقع حصول التأثيرات من الغير المؤثر وظهور علامات وأحوال خاصة على ظاهر المؤثر فيه نتيجة لوصول تأثير الغير فيه إلى باطنه وتعديه إلى ظاهره وانتقال الطباع والأخلاق من القرين إلى القرين واقع ومعروف وحصول الكمالات وعكسها بالتأثر والمعاشرة والتقليد للغير معروف . وظهور الآثار الطبيعية البشرية على الأشخاص كالفرح والحزن والخوف والإقدام والقوة

والضعف بسبب تأثير الغير وتوجيهه معروف .حتى فى الحيوان يؤثر القط فى الفأر بتصويب نظره إليه فيوقفه ويمنعه الهرب ويظهر الذئب للشاة فتعرف منه الوحشية والافتراس فتخافه وتغرمنه . هناك نوع من الحيّات لو سامت بصرها بصر إنسان مات . ونوع أخر لو ضربها إنسان بحجر مثلا التفتت إلى الحجر وعضته فيموت الضارب وغير ذلك من تأثيرات مودعة فى مملكة الحيوان بل وفى النبات أيضا تأثر وتأثير ففى الهند أشجار لو رقع عليها عين إنسان أو حيوان أذعن لها وأكد ذلك الإذعان بحركة غيرعادية . وللسحرة حشائش يبخرون بها البيوت فتحل السحر والعقود وحشائش يبخرون بأوراقها على اسم من يريدون فيأتيهم طوعا أو كرها . ونبات الأتروضم وهو على صورة الإنسان من علقه عليه فى ساعة معينه لو مر بحجر لتبعه الحجر . وغير ذلك مما لم أورده من عجائب تأثيرات النباتات للاختصار . وفى الجماد أيضا تأثيرات عجيبة فحجر الزمرد إذا قرب من الحية عميت لوقتها . وبعض الحيات إذا نظرت الى الزبرجد ماتت لوقتها . وحجر المغناطيس معروف فى جذبه للحديد . ومعروف نقل المغناطيسية من جسم الى جسم . ومعروف سريان الكهرباء وتأثيراتها العجيبة . وغير ذلك من أسرار وخواص مودعة فى الجمادات يطول ذكرها .

ومن هذه التأثيرات المشار إلى بعضها بالأمثلة السابقة ما هو بالفعل

والعزم والاختيار كالإنسان والحيوان وما هو بالعزم فقط كالإنسان فى الإصابة بالعين وكالحية التى تعض الحجر الذى تضرب به فيموت الضارب.وما هو بالطبع والخاصية كالأدوية المسهلة والقابضة وحجر المغناطيس فى جذبه للحديد وكالثوم فى إبطال المغناطيسية - وتحرير هذا الباب فى التأثير يفضى إلى التطويل والمراد الإشارة الى أن كل هذه التأثيرات الواقعة الثابتة هى عن مسبب الأسباب الخالق عندها ما شاء وذلك التأثير والفعل له جل شأنه بالأصالة وهذا إعتقاد كل مسلم وفى الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم** ﴾وقوله تعالى ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾وغير ذلك من نصوص فى الكتاب والسنة تحقق أن الفعل لله إيجاداً وإجراؤه منه جل شأنه على يد الغير حكمة منه واقتضاء لإيجاد الخلق وارتباط الأسباب بالمسببات .

وإذا فهم هذا الأصل سهل على المنصف وتحقق لديه انتفاع القابل المستعد بالغير المد سواء كان هذا المد حيا أومنقولاً أما كونه حياً فلما قدمته من تأثير وتأثر وأما كونه منقولاً فللواقع أيضا من اتصالات فى عالم الرؤيا بين الأحياء والأموات وثبوت صحة هذه الاتصالات فى عالم الشهادة واليقظة. كما سأدلل عليه وإن كان معلوما وواقعا للكثير من الناس .

قال الرازى فى تفسيره إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوى بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب الى عالم الملائكة ومنازل القدس ويظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم فهى المدبرات أمرا أليس الإنسان قديرى أستاذه فى المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها . وقال فى المطالب العالية : إن الإنسان قديرى أباه وأمه فى المنام يسألهما عن أشياء وهما يذكران أجوبة صحيحة وربما أرشداه الى دفين فى موضع لا يعلمه أحد . وبعد أن أورد سيدنا الإمام الرازى مقدمات لإثبات الانتفاع بزيارة الموتى والقبور وبيان كيفية هذا الانتفاع قال : إذا عرفت هذه المقدمات فنقول إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه بتلك التربة . وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلق بتلك التربه أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحى ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل فى نفس هذا الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور الى روح ذلك الميت وكل ما حصل فى نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه

نور الى روح هذا الزائر الحى وبهذا الطريق تكون تلك الزياره سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور . وهذا هو السبب الأصلى فى شرعية الزيارة ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق وأغمض مما ذكرناه .

انتهى ما أردت الاستدلال به من تحقيقات الفخر الرازى للاستفاضة والإفاضة على نسبة منزلتى الزائر والمزور وهذا تدليل آخر للسعد التفتازانى فى شرح المقاصد قال :

الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية وإطلاع على بعض جزيئات أحوال الأحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف فى الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات واستدفاع الملمات فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا ما بالبدن وبالتربة التى دفن فيها فإذا زار الحى تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات .وأورد السعدالتفتازانى بعد ذلك ما يؤيد ظهور الكرامات من الأولياء وعجب ممن ينكرونها ويقعون فى أصحابها وذكر أن المنكرين لأحوال الأولياء لا يصح لهم شىء من ثمرات الاجتهاد والعبادة . وذكر أن مبنى أمر التصوف على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة . وهذه الشهادة من السعد

التفتازانى فيها الكفاية للمنصف إذ المعروف أنه رضى الله عنه لا صلة له بالتصوف . وأثبت هذه الاستفاضة من الأخبار المنقولين السيد الشريف الجرجانى فى أوائل حاشيته على المطالع .

وفى كتاب الروح لابن القيم : وقد تواترت الرؤيا من أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها مالا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل وكم قد رؤى النبى ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم وإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورةمع كثرة عددهم وعُددهم وضعف المؤمنين وقلتهم - ثم ساق حكاية واقعية ظهر منها تأثير الروح بعد الانتقال وظهور هذا التأثير فى الحس فارجع إلى هذا الكتاب .

ومعلوم أن ابن القيم من كبار تلاميذ ابن تيمية وفى هذا دحض لشبهة وإنكار القائلين بعدم صحة التوسل بالصالحين بعد انتقالهم - وأهل الاعتقاد والتصديق بحياة الأرواح بعد الانتقال يشاهدون من أنفسهم ذلك وينتفعون بأرواح الأخيار وفى القرآن العزيز ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء** ﴾ والشهادة نوعان صغرى وكبرى . والكبرى تنبنى على الجهادالأكبر وهو جهاد النفس والإشارة فى الحديث الى ذلك « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وهل يكون الشهيد فى

الغزو حيا والحياة كمال ولا تكون هذه الحياةوهذا الكمال للمقربين الذين لم يستشهدوا فى الغزو مع أنه قد ورد فى نيل درجة الشهادة وعدم تقييدها بالموت فى الغزو آثار صحيحة شرعية .

وهذه نصوص فى الحياة بعد الموت : أخرج أبو يعلى والبيهيقى وابن منده عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» وأخرج مسلم عن أنس أن النبى ﷺ ليلة أسرى به مّر بموسى صلوات الله عليه وهو قائم يصلى فى قبره ورواه أيضا الكثيرون . وأخرج أبو نعيم عن يوسف عن عطية قال سمعت ثابتا يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحدا يصلى فى قبره إلا الأنبياء قال لا قال ثابت اللهم إن أذنت لأحد أن يصلى فى قبره فأذن لثابت أن يصلى فى قبره وأخرج أيضا عن جبير قال أنا والله الذى لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البنانى لحده ومعى حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلى فى قبره - وأخرج ابن جرير فى تهذيب الآثار وأبو نعيم عن إبراهيم بن الصمة المهلبى قال حدثنى الذين كانوا يمرون بالحصن بالأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البنانى سمعنا قراءة القرآن - وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر وإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها

فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ هى المنجية المانعة تنجيه من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدى فى كتاب الروح هذا تصديق من النبى ﷺ بأن الميت يقرأ فى قبره فإن عبدالله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ.

وارجع الى كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للحافظ السيوطى ففيه الكثير من النصوص الدالة على حياة الأرواح بعد الانتقال وتزاور الموتى وتصرفات أخرى غريبة تقع من بعض الموتى فى رد أكفانهم للأحياء . حيث أنهم لم يرتاحوا إليها فى حياتهم وكذلك انتقال جثث بعض الموتى من القبور التى يدفنون فيها وغير ذلك من غرائب ما بعد الموت خصوصا للأخيار أصحاب الأحوال الصادقة مع الله والله يتولى هدى الجميع وزيادة تحقيق هذه الحياة البرزخية بعد الموت والنصوص التى تؤيدها واردة أيضا بكتاب تنوير الحلك فى رؤية النبى والملك للحافظ السيوطى أيضا وبكتاب سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونين للشيخ يوسف النبهانى فارجع إلى هذه الكتب إن أردت الانتفاع . وهذا الكتاب يضيق عن إيراد كل ذلك والهادى هو الله .

وأنتقل الى قسم آخر فى هذا التحقيق وهو إثبات وجود الرجال وأن بهم تقضى حوائج الناس وترفع مصائبهم فأما إثبات ذلك حسيا فيشهده ويجده أهل الاعتقاد فيهم والتحبب إليهم والتعلق بهم وسيأتى ما يؤيد وقوع هذه

الظواهر فى الحس عند ذكر وقائع وأسانيد التوسل قريبا .

وأما إثبات ذلك بالنصوص ففى الحديث القدسى « إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى فإذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم - وفى المروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه آفة البلاء ». وروى عنه ﷺ أنه قال « لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً. الحديث » . وروى جابر بن عبدالله قال قال النبى ﷺ « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم » وحديث أحمد « الأبدال فى هذه الأمه ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » وحديث الطبرانى « إن الأبدال فى أمتى ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم يمطرون وبهم ينصرون» وحديث ابن عساكر «إن الأبدال بالشام» وكذلك فى حديث آخر للطبرانى عند وجود الأبدال بالشام وفى حديث لأحمد أيضا عن وجودهم بالشام وفيه أن عددهم أربعون وقد حقق الشهاب

ابن حجر فى كتابه الفتاوى الحديثية هذه الروايات وسر اختلاف العدد فيها وذكر غير ذلك من أخبار طوائف أخرى من رجال الله ثم قال رضى الله عنه : وذلك كله يبين أن تلك الأعداد ترجع الى الاصطلاحات ولا مشاحة فى الاصطلاح وقد وقع فى هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخى هى أنى إنما ربيت فى حجور بعض أهل هذه الطائفة أعنى القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندى كلامهم لأنه صادف قلبا خاليا فتمكن فلما قرأت فى العلوم الظاهرة وسنى نحو أربع عشرة سنة فقرأت مختصر أبى شجاع على شيخنا أبى عبدالله الإمام المجمع على بركته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجوينى بالجامع الأزهر بمصر المحروسه فلازمته مدة وكان عنده حدة فانجر الكلام فى مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والنقباء والأبدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ إلى إنكار ذلك بغلظة وقال هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شىء عن النبى ﷺ فقلت له وكنت أصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا مرية فيه لأن أولياء الله أخبروا به وحاشاهم من الكذب وممن نقل ذلك الإمام اليافعى وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة فزاد إنكار الشيخ وإغلاظه علىّ فلم يسعنى إلا السكوت فسكتُّ وأضمرت أنه لا ينصرنى إلا شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين وإمام الفقهاء والعارفين أبو يحيى زكريا الأنصارى وكان من عادتى أنى أقود الشيخ محمد الجوينى لأنه كان

ضريرا وأذهب أنا وهو إلى شيخنا المذكور أعنى شيخ الإسلام زكريا يسلم عليه فذهبت أنا والشيخ محمد الجوينى إلى شيخ الإسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجوينى لا بأس أن أذكر لشيخ الإسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها فلما وصلنا إليه أقبل على الشيخ الجوينى وبالغ فى إكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعالى بدعوات منها اللهم فقهه فى الدين وكان كثيرا ما يدعو لى بذلك فلما تم كلام الشيخ وأراد الجوينى الانصراف قلت لشيخ الإسلام يا سيدى القطب والأوتاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة فقال نعم والله ياولدى فقلت له يا سيدى أن الشيخ وأشرت إلى الشيخ الجوينى ينكر ذلك ويبالغ فى الرد على من ذكره فقال شيخ الإسلام هكذا يا شيخ محمد وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الإسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد تبت فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد ثم قمنا ولم يعاتبنى الجوينى على ما صدر منى.

ويكفى هذا القدر فى الأستمداد الروحى وهو مقو ومعضد لإثبات التوسل وحصول النفع به وفى الجزء الآتى من هذا البحث أفرد للتوسل وإثباته عقلا ونقلا ملحقا خاصا فأقول وبالله التوفيق .

الأدلة العقلية لإثبات التوسل

معلوم بالضرورة وجود الأسباب وارتباط المسببات بها « وحصولها عنها وثبوت ذلك فى عالم الحكمة بتقدير العزيز العليم وسواء كان السبب حسيا أو معنويا فالكل خلق الله وترتيبه ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ فما دام هناك تصديق بالأسباب وحصول المسببات عنها وأن ذلك ليس ما سا بإثبات الوحدانية فى الفعل والتصرف للخالق جل شأنه فما المانع من التصديق بذلك بالنسبة للتوسل بالرجال أحياء وأمواتا خصوصا وقد ثبت سابقا حصول التأثيرات والتأثرات بين أفراد المخلوقات وثبتت حياة الأرواح بعد الانتقال وحصول الانتفاع بأرواح الأخيار بعد انتقالهم أثبت وأظهر وأقوى فى التدليل على إثبات الفعل والتصرف لله وحده لما يتصور فى الحى فى الدنيا من تصرف وتدبير فى نظر غير المحقق لأمر الألوهية واستقلالها الذاتى بالفعل والإنشاء . ومعلوم أيضا جعل الخلافة فى الأرض فى الآدميين وإرسال الرسل لتعليم الخلق وإسناد أمر الناس إلى سائس يقوم بأمورهم فهل فى هذا إثبات وإسناد لتصرفات الخلق إليهم على سبيل الاستقلال كَلاَّ . إن الله يرزق الناس بعضهم من بعض . وسواء كان الرزق حسيا أو طبيعيا أو معنويا روحيا كما هو الواقع فى التوصيلات للعلوم والمعانى بوساطة المرشدين القائمين بأمر الغير حكمة منه تعالى وكتوسط الملائكة بين الرسل والحق وإسناد الحفظ والكتابة وغير ذلك إليهم وليس ذلك

لحاجة بل هو للحكمة الجارية فى عالم الخلق والنّسب وأمر آخر فطرى فى النفوس يجعل التوسل أمرا طبيعيا سليما فى المؤمنين الموحدين الذين لم تتطرق إليهم شُبَهُ الشرك وأمثاله التى فتحها على المسلمين منكروا التوسل بعد أن كان الإجماع منعقدا وواقعا بالفعل فى إثبات التوسل ومباشرته وحصول الانتفاع بسببه هذا الأمر الفطرى تلحظه فى نفوس الصغار حينما يهرعون الى آبائهم خوفا من شىء ويرون فى آبائهم الملاذ والعياذ وتلحظه فى استغاثة المستغيثين بالناس عند نزول شىء يستوجب النجدة والمعونة فهل فى هذه الاستعانة بالأسباب القريبة الموضوعة للحكمة إشراك بالله وعبادة لغيره كلا فإن هذا واقع من منكرى التوسل وجائز عندهم لرجوع الأمر كله الى الحق فى معتقد عامة المسلمين .

وهل كل من أحب مخلوقا بصفة محبوبة فيه أو ابتغاء منفعة منه أو دفع مضرة عنه يكون عابدا له ومتخذا له شريكا مع الله لا يقول بذلك أحد خصوصا وقد أراد الله جل شأنه حفظ التوحيد والإيمان على المسلمين كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام ابن حجر الهيتمى فى الزواجر عن الإمام أحمد والطبرانى والحاكم وأبى نعيم والبيهقى « أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية قيل يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا

ولاوثنا ولكن يراءون الناس بأعمالهم الى آخر الحديث » . ومن الواقع المشاهد أيضا أن المتوسلين بالأخيار أحياء وأمواتا دعاهم إلى ذلك اعتقاد وجود سر خاص إلهى فيهم بدليل أنهم لا يتوسلون بمن خلا من هذا السر وهذا النور الإلهى ففى الحقيقة أنهم ماطلبوا إلا من الله ولا التجئوا إلا إلى الله وليس ذلك حصرا للألوهية فى أشخاص المتوسَّل بهم . وهذا التحقيق هو الحل والجواب لمن يتمسكون بحديث « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » فى إنكارالتوسل بالأشخاص أى اسأله جل شأنه فى نفس سؤالك للخلق واستعن به فى عين استعانتك بالخلق .

وأختم الأدله العقلية الواقعية بأمر محسوس هو أن المتوسلين فى سائر الأزمان انتفعوا بالفعل وحصل لهم القرب من الله وظهرت عليهم علامات السعادة وتحلوا بمكارم الأخلاق وسنى الفضائل وكانوا أئمة ينتفع بهم ويستدل على طريق الحق بواسطتهم وحصلت لهم الكرامات الحسية والمعنوية التى هى تحف الله لأوليائه وأحبائه من خلقه ولم يُلحَظ مثل ذلك على المعترضين المنكرين للتوسل كان الله لنا ولهم ورحمنا ورحمهم . وثم علامةٌ هامة تجدها متحققة فى الصالحين المتوسلين المحبين للأخيار من عباد الله الناهجين مناهجهم تلك هى الزهد فى الدنيا وإيثار العقبى ولا تجد ذلك محققا فى المعادين لهم الواقفين مع قشور ظنوها علما ولم ينفذوا الى تحقيق روح الدين

وأذواق الصالحين ، وأعتقد أنهم لو عملوا بما ورد فى السنة الشريفة من جهاد للنفس وتعلق بالله وترك للفانى للانت قلوبهم وصفت أرواحهم ولم يحتاجوا فى إثبات التوسل الى دليل ورأوا أنهم مفطورون كغيرهم على حب الصالحين والانتفاع بهم . ولله الأمر من قبل ومن بعد ﴿ **وما كُنَّا لنَهْتَدِىَ لولاَ أنْ هَدَانَا اللّه** ﴾ . ويكفى هذا الجزء فى الأدله العقلية الواقعية .

الأدله النقلية للتوسل

يقول الله تعالى ﴿**يَأيُّها الّذينَ آمَنوا اتّقوا الله وابْتَغُوا اليْه الوَسِيلة** ﴾فلا مانع من أن المراد بالوسيلة هنا العمل الصالح والذوات الفاضلة إذ الأعمال أعراض وهى منسوبة إلى فاعلها والذوات الفاضلة حوامل للسر الإلهى والنور الربانى الذى هو صبغة اختصاصية تتضح فيها أغلبية النسبة للحق من النسبة للخلق . والأحاديث والوقائع الواردة بعد تؤيد هذا المراد من الآيه . فحديث الاستسقاء بالسيد الرسول ﷺ فى حياته رواه الإمام البخارى رضى الله عنه عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه وسؤاله ﷺ الدعاء من سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه معلوم ، واستسقاء سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسيدنا العباس رضى الله عنه ثابت أيضا فى صحيح البخارى وذكر فى لفظه « إنا نتوسل اليك بعم نبينا »

والفطرة السليمة والنظر البرىء يعطى لأول وهلة التوسل به ﷺ بعد انتقاله من هذا اللفظ، ومن هذه الواقعة أيضا تفهم صحة التوسل بالذوات بما رواه ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه قال بعد هذه الواقعة فى حق سيدنا العباس رضى الله عنه « هذا - والله -الوسيلة إلى الله عز وجل والمكان منه وكذا قال سيدنا عمر رضى الله عنه كما فى أنساب الزبير بن بكار على ما فى فتح البارى واتخذوه يعنى العباس - وسيلة إلى الله » .

وأيضا يثبت التوسل به ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وفقهاء المذاهب حتى الحنابلة يتفقون على شمول الآية لما بعد الموت - وحديث «حياتى خير لكم ومماتى خير لكم» مروى عن أنس بن مالك . وفى البخارى تمثل سيدنا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما بشعر أبى طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه. وفي فتح البارى تأييد ذلك من الرسول ﷺ. والحديث المروى عن عثمان بن حنيف رضى ا لله عنه وفيه الدعاء الذى علمه الرسول ﷺ للضرير وهو « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فىّ » وهو نص صريح فى جواز التوسل بالغير بمعنى السؤال بهذه الصيغة وذلك زيادة على

طلب الدعاء من ذلك الغير فلو لم يكن فى ذلك فائدة لما علمه النبى ﷺ هذه الصيغة وأرشده إلى السؤال بها فى كل حاجة تعرض له . وقد أورد ابن تيمية وصاحب مصباح الظلام فى رواية أخرى لهذا الحديث ما يؤيد ذلك وهو « وإن كان لك حاجة فمثل ذلك » وقد فهم سيدنا عثمان بن حنيف جواز السؤال بهذا الدعاء والتوسل بجاهه ﷺ فى حياته وبعد انتقاله حيث علّم هذا الدعاء لرجل كانت له حاجة عند سيدنا عثمان بن عفان فدعا به فقضيت حاجته - وهذا الحديث أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير والترمذى فى أواخر الدعوات من جامعه وابن ماجة فى صلاة الحاجة من سننه وفيه نص على صحته والنسائى فى عمل اليوم والليلة وأبو نعيم فى معرفة الصحابة والبيهقى فى دلائل النبوة وغيرهم على اختلاف يسير فى غير موضع الاستشهاد وصححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظا - وتمام تحقيق هذا الحديث وغيره من أدلة التوسل وارد بأعداد مجلة الإسلام بالأعداد المنشورة فى النصف الثانى تقريباً من العام الثامن لهذه المجلة تحت عنوان « **إن فى صُدورهمْ إلاَّ كِبْرٌ مَا هُم ببالغيه**» وبكتاب محق التقول فى مسألة التوسل للكوثرى ومنها حديث فاطمة بنت أسد رضى الله عنها وفيه قوله ﷺ « بحق نبيك والأنبياء من قبلى» وقد أوردت هذا الأثر هنا للاستدلال به على جواز التوسل بالأنبياء السابقين أيضا بعد انتقالهم ومنها حديث مالك الدار فى استسقاء بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه

فى عهد عمر رضى الله عنه بالنبى ﷺ ونص الحديث«أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال «إيت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون .الحديث» وقد أخرج هذا الحديث البخارى فى تاريخه وأخرجه ابن خيثمة وأخرجه أيضا ابن أبى شيبة بإسناد صحيح كما نص عليه ابن حجر فى الفتح .

وأما التوسل به ﷺ قبل ظهوره بجسده الشريف فيؤيده حديث عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى » أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد - وتمام تحقيق هذا الحديث والاستدلال به وارد بكتاب « محق التقول فى مسألة التوسل» للشيخ زاهد الكوثرى . وغير هذا من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فى هذا الكتاب .

وفى القرآن الكريم ما يدل على جواز التوسل بالأخيار الى الله جل شأنه ففى سورة الأعراف ﴿ **يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ فلم يخطئهم سيدنا موسى عليه السلام بل طلب ما سئل فيه وأجيب . والمح التحقيق فى قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ** ﴾ إذ هو سبحانه الكاشف وقد أسنده مجازاً لسيدنا موسى عليه السلام فى قولهم « لئن

كَشَفْتَ» وفى هذا إباحة إسناد الشيء للسبب وأيضا قوله تعالى ﴿ وأمَّا الجدارُ فكَانَ لغُلامَيْن يَتيمَيْن فى المدينَة وكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لهُمَا وكانَ أبُوهُما صَالحاً ﴾ فأكر ما بصلاح أبيهما فهو وسيلة بعد موته وقول أبينا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لأبيه ﴿ لأسْتَغفرَنَّ لَكَ ومَا أمْلكُ لَكَ منَ اللّه من شَيء ﴾دليل أيضا على توسط الأخيار لقضاء حوائج الغير والله المالك والفعال لما يريد وكتوسط سيدنا يعقوب فى الاستغفار لبنيهوفى القرآن الكريم أيضا مما يتعلق بالتوسل ما ورد فى التبرك بالجماد قوله تعالى ﴿ إذْهَبوا بقَميصى هَذَا فألقُوهُ على وَجْه أبي يَأت بَصيرا ﴾ وقوله تعالى فى سورة البقره ﴿ وقَالَ لَهُمْ نَبيّهُمْ إنَّ آيَةَ مُلكه أنْ يَأتيَكُمُ التَّابُوتُ فيه سَكينَةٌ من رَبّكمُ وبَقيّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هَارونَ تَحْمِلُهُ الملائكَة ﴾أيكون السر النافع فى القميص والتابوت ولا يكون فى الإنسان بله كونه من الأخيار . والخيرية التى فى الصالح نور إلهى موهوب أو مكتسب بوساطة الأعمال الصالحة . وشهود النور الإلهى فى الصالح اعتقاد وتصديق بالآثار الإلهية والأعمال الصالحة وذلك عمل قلبى فى المعتقد المصدق بذلك فعاد التوسل بالعمل كما يعتقده من يفسر الوسيلة فى قوله تعالى ﴿وابْتَغوا إليْه الوَسيلَة﴾بالعمل فقط مع أن قوله تعالى فى هذه الأيه ﴿ اتقوا الله ﴾ يفيد الأمر بالعمل وعطف ﴿وابْتَغوا اليْه الوَسيلَة ﴾يفيد عموم الوسيلة

أى بالعمل وبذوات العمال والأخيار وفى ذلك زيادة الفائدة فى فهم الآية .

وإليك أقوال أئمة وعلماء المذاهب فى جواز التوسل : حقق الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبى صاحب المقاله التى أشرت إليها سابقا فى مجلة الإسلام بعنوان « **إنْ فى صُدُورِهِم الأكْبَرٌ مَا هُم بِبَالغيــه** » فى العددين ٣٢ ، ٣٤ مسأله التوسل بلفظ « بحق فلان »وأبان فى تحقيقه عدم صحة ما نسب إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة من القول بعدم إثبات التوسل

- ثم اتبع ذلك بقوله : أما التوسل بالأنبياء والصالحين أو بجاههم واتخاذهم وسيلة الى الله تعالى فهو مسلم به ومعترف به عند الحنفية ومنهم صاحب مطالع الأنوار كبقية فقهاء المذاهب الأربعة فلا يهولنك تهويش المهوشين ولا تلبيس المعاندين ولا سفسطة الثرثارين المحرومين وإليك ما قاله علم من أعلام الحنفية ومحقق كبير من محققيهم وهو الكمال بن الهمام الحنفى المتوفى سنة ٨٦١ قال فى فتح القدير فى أخر الكلام على الحج عند المقصد الثالث فى زيارة قبر النبى ﷺ ما نصه« وعلى ما ذكر يكون الواقف مستقبلا وجهه عليه الصلاة والسلام وبصره فيكون أولى ثم يقول فى موقفه السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا خير خلق الله إلى أن قال : اللهم أعط سيدنا عبدك ورسولك محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وأنزله المنزل المقرب عندك إنك سبحانك ذو الفضل العظيم ويسأل الله تعالى حاجته متوسلا إلى الله بحضرة

نبيه عليه الصلاة والسلام وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة ثم يسأل النبى الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله فى أن أموت مسلماً على ملتك وسنتك ويذكر كل ماكان من قبيل الاستعطاف والرفق » ثم قال : والآن ننتقل بك الى ما قاله علم من أعلام المالكية وقد كان معاصرا لابن تيمية ومعروفا بالشدة وعدم الهوادة فى الدين والبدع وهو العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد العبدرى المشهور بابن الحاج صاحب المدخل فقد كان فى التوسل صريحا كل الصراحة قال فى كتابه المدخل عند الكلام على زيارة القبور ما نصه « فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل الى الله تعالى به وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه ممن ترجى بركته الى النبى ﷺ الى آخر ما قاله فى هذا المعنى نقلا عن المدخل - ثم قال : وقد سبق تصريح إمام المذهب سيدنا مالك بن أنس للمنصور بجواز التوسل وقد نقلنا عبارته فى مناظرته له فى موضوع سابق . ولننتقل الآن الى رأى السادة الحنابلة فى التوسل والقول بترجيحه وتجويزه ولنبدأ بصاحب كتاب المغنى وهو ابن قدامة الحنبلى وهو إمام ثقة وحجة وكتابه من أمهات الكتب فى الفقه الإسلامى فقد جاء فى فصل «ويستحب زيارة قبر النبى ﷺ جزء ٦ ص ٥٩٠ » ما نصه : ثم تأتى القبر فتولى ظهرك القبلة وتستقبل وسطه - يعنى القبر - وتقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته إلى أن قال : اللهم إنك قلت وقولك الحق

﴿ولَوْ أنَّهُم إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَروا اللّه ﴾الآية

وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبى مستشفعاً بك إلى ربى فأسألك يارب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته ثم يدعو لوالديه ولإخوانه والمسلمين أجمعين إلخ » ثم أنتقل بعد ذلك إلى رأى إمام أخر من أئمة الحنابلة فى إثبات التوسل - وساق بعد ذلك رأى الشافعية فى جواز التوسل فبدأ بالإمام النووى فقال : قال رحمه الله فى ايضاح المناسك فى الباب السادس فى زيارة قبر النبى ﷺ ما نصه « ثم يسلم ولا يرفع صوته بل يقتصر ويقول السلام عليك يارسول الله الى أن قال - ثم يرجع إلى موقعه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به فى حق نفسه ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى . ومن أحسن ما يقال ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له ثم ساقها... » وقال العلامة المحقق ابن حجر فى كتابه الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين « إن الإمام الشافعى رضى الله عنه أيام كان ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة رضى الله عنه يجيء إلى ضريحة يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجته وثبت أن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه توسل بالإمام الشافعى رضى الله عنه حتى تعجب ابنه عبدالله ابن الإمام أحمد فقال له الإمام أحمد إن الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الإمام الشافعى أن أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى

بالإمام مالك لم ينكر عليهم وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه من كانت له الى الله حاجه وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالإمام الغزالى وذكر أيضا فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقه فى الرد على أهل البدع والزندقة شعرا منسوبا للإمام الشافعى رضى الله عنه هو :

آل النبى ذريعتى ∴ وهم إليه وسيلتـــــى

أرجو بهم أعطى غدا ∴ بيدى اليمين صحيفتى

وقال القسطلانى فى المواهب : وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودى يا هذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم ويكاد يتفق المفسرون وأهل الحديث على أن قوله تعالى ﴿ **وكَانُوا من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الَّذين كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ به فَلعْنَةُ اللَّه عَلَىَ الكَافرين** ﴾نزل فى يهود خيبر كانوا قبل وجوده ﷺ يحاربون أسدا وغطفان من مشركى العرب وكانوا يقولون : اللهم بحق النبى الذى تبعثه آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فينصرون - وذكر ابن القيم مثل ذلك فى كتابه بدائع الفوائد - وفى كتاب سعادة الدارين عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل ذلك - وللشيخ محمد حسنين العدوى فى رسالته القيمه فى « حكم التوسل بالأنبياء والصالحين » تحقيقات كثيرة فى حياة الأرواح وقيامها بأعمال خاصة كعمل أرواح النائمين

والملائكة المطهرين فارجع إلى هذا الكتاب وغيره كشفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن علي بن عبدالكافي السبكي وسعادة الدارين للسمهودي وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للشيخ يوسف النبهاني ومحق التقول للكوثري ومصباح الظلام للحافظ محمد بن موسى النعمان وفرقان القرآن للشيخ سلامه العزامي ففي هذه الكتب زيادة وقوف على جواز التوسل واستحبابه وفضل أهله وعلو مقامهم عند الله كما هو واقع وثابت بالخوارق التي يكرم الله بها عباده الصالحين أهل ولايته وثابت أيضا بزهدهم في الدنيا وهو معيار معرفة الله وصدق خدمته والتوجه إليه وحده .

خـــاتمة

فى رد اعتراض على صحة التوسل

اعلم أنه لا يعارض جواز التوسل ماورد من قوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » فإن معناه على ما حققه العلماء المحققون أن الرحال لا تشد لغير هذه المساجد الثلاثة لأجل فضيلة الصلاه فيهاإذ لا أفضلية لغيرها فى الصلاة فلو سافر لمسجد كالأزهر لطلب العلم أو سافر لغير المساجد كأن سافر للتجارة وغيرها من حاجات الدنيا والآخره فهذا لا مانع منه بل قد تكون هذه الأسفار واجبة أو مندوبة بحسب الحامل عليها كالسفر لعرفة لقضاء النسك وكالسفر للجهادفى سبيل الله وكالسفر للهجرة من دار الحرب لدار الإسلام وكالسفر لصلة الأرحام ولزيارة قبور الأنبياء والأولياء وعليه مذهب أهل السنة والجماعة المثبتين لحياة الأرواح بعد الموت بل والمكاشفين لأحوال هذه الأرواح فى مختلف الوقائع والمشاهدات . وأيضا ثبت بالتجربة استجابة الدعاء عند قبور بعض الصالحين ولسيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب . أى فى استجابة الدعاء عنده - ولا يفوتنى أن أنبه فى آخر هذا القسم الخاص بإثبات التوسل على الأجوبة السديدة التى حررها سيدنا الشيخ يوسف الدجوى رضى الله عنه بأعداد مجله الأزهر

خصوصا بالسنين الأولى منها ردا على السائلين فى مسألة التوسل فارجع اليها فإنها كافية وشافية .

عاشرا - الدفاع عن بعض علومهم وتحقيقاتهم

ليس الغرض فى هذا الجزء إيراد كل الحجج والتصحيحات للتدليل على سلامة علوم القوم وأذواقهم فإن هذا الكتاب لا يتسع لذلك خصوصا وقد أوردت سابقا أدلة تمسك القوم بالشريعة والسير على أصولها وما دام ذلك متحققا فيهم فنتائجه من فيوض وإلهامات سليم مقبول نافع خصوصا لمن تأهل لهذا الانتفاع ووفق له بحسن العقيدة فيهم والتحلى بالأخلاق الكريمه ليتسنى لهذا المعتقد الكريم الخلق التريث والأطمئنان عند ورود غرابة فى أقوالهم وأذواقهم فيصل بهذا الاطمئنان وحسن الاعتقاد إلى مرادهم من الغرائب عند من لم يذق مذاقهم ولم يعمل على أسسهم فى فتح أبواب العلوم الإلهية الممنوحة للخصوص من الرجال .

ولابد لمن يريد الوقوف على مرامى أقوالهم أن يعتقد أنهم مع الوارد عليهم من الحق بحسب المشاهد التى يقامون فيها والأحوال التى ينزلون بها وأن اللفظ الواحد يتسع لمعان كثيرة والعبرة بمراد القائل وعقيدته ودرجته فى التحقيق للعلوم بما أوتيه من هبات إلهية وتحصيلات علمية نظرية . وقد

كان من هو منهم الآن فى بدء سلوكه طريقهم أو سماعه أخبارهم وأقوالهم غير ذائق لهذا الذى يتحققه الآن من علوم وأحوال بل وربما كان منكرا ثم لما حصل منه السير والاطمئنان فى الطلب والمتابعة والاستمرار فى الممارسة لعلومهم من طريق كتبهم أو الأئمة الأحياء منهم - وهم موجودون بحمد الله فى كل عصر - صار ما كان غريبا عجيبا غير مقبول ابتداء مسلما به انتهاء .

ومما يجب الانتباه له حتى يصح التسليم لعلومهم وإقرارها أنهم رضى الله عنهم ساروا فى خدمة مولاهم والتقرب اليه سيرا خاصا أثمر لهم شعورا خاصا وذوقا خاصا فى التوحيد وسائر ما ينسب إلى الحضرة الإلهية من أسماء وصفات وأفعال وقد يُغلب فينطق بألسنة ما يشاهده ويتجلى له فيظن السامع أنه يريد نفسه بذلك القول أو هذه الحقيقة والذى يدرى غلبة الأحوال الروحية والمواجيد الباطنية حتى فى غير الصوفية من سائر المحبين المتعلقين بأغراض ومطالب خاصة فيمن يحبون يسلم للقوم أحوالهم وإشاراتهم وما يبدو فى ظاهره غريبا من العلوم والمعارف المتعلقة بطريقهم . والجاهل معذور والمسلم مشكور والمعتقد مأجور والله الهادى .

وبعد أن مهدت بما سبق لما أريد تحليله وإيضاحه من بعض ما نسب إلى القوم رضى الله عنهم من عقائد غريبة وعلوم وأسرار غير معهودة لغيرهم .

أشرع فى ذلك مستعينا بحول ربى وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وصل

من أئمة القوم الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى الحاتمى المشهور بكثرة كتبه وأقواله فى علوم القوم وخصوصا غرائب الحقائق وعجائب الأسرار . ولغيره من أئمة القوم أيضا هذه العلوم الغريبة على غير أهلها . ولكن الشيخ الأكبر من أشهر من شاعت عنه أقوال وعلوم توقف عن التسليم بها واعترض عليها بعض الباحثين وعلماء الدين . فلذلك أردت أن أقدم فى هذا الوصل تحليلا لبعض أقواله رضى الله عنه ويعتبر هذا التحليل والتوضيح ميزانا عاما فى التسليم لعلوم الصوفية إن لم يمكن تذوقها والتحلى بها .

فمما نسب إليه رضى الله عنه القول بقدم العالم ،يدحض هذه الشبهه قوله رضى الله عنه فى باب الأسرار بكتابه الفتوحات المكيه .

لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد فى لبس من خلق حديد - إلى غير ذلك من أقوال منثورة فى كتبه رضى الله عنه ومما نسب إليه رضى الله عنه القول بالحلول

والاتحاد ويدحض هذه الشبهة أقواله رضى الله عنه ومنها .

قال رضى الله عنه فى عقيدته بأول كتابه الفتوحات المكية : تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها - ويقول فى الباب الثالث من الفتوحات المكية أيضا : والبارئ لا يشبه شيئا ولا فى شىء مثله - ويقول فى الباب ٣٦٥ من الكتاب المذكور : والعالم منفصل عن الحق بحده وحقيقته . وإليك بعض أقواله فى باب الأسرار وهو الباب ٥٥٩ من الكتاب المذكور : القديم لا يحل ولا يكون محلا - أنت أنت وهو هو فإياك أن تقول كما قال العاشق أنا من أهوى ومن أهوى أنا فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فإنه جهل والجهل لا يتعقل حقا - اعلم أن العاشق إذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإن ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول إذا صحا من سكرته .

ومما نسب إليه رضى الله عنه القول بتفضيل الولاية على الرسالة - وإليك بعض أقواله فى دفع هذه الشبهة قال رضى الله عنه فى الباب ٣٠٣ من كتابه الفتوحات المذكور فالنبوة اختصاص من الله يختص بها من يشاء من عباده وقد أغلق ذلك الباب وختم برسول الله محمد ﷺ والولاية مكتسبة إلى يوم القيامة فمن تعمل فى تحصيلها حصلت له والتعمل فى تحصيلها اختصاص من الله يختص برحمته من يشاء إلى أن قال فبنور

النبوة تكتسب الولاية . وقال فى الباب ٣١٤ من الكتاب المذكور : فلا يتعدى كشف الولى فى العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه . وقال رضى الله عنه فى الباب ٣٧٣ من الكتاب المذكور بعد أن ذكر ختم النبوة والرسالة وغلق بابها بسيدنا محمد ﷺ وبقاء الوراثة والإلهام والفهم فى الكتاب والسنة قال : وإنما قلنا ذلك لئلايتوهم متوهم أني وأمثالى أدعى نبوة لا والله ما بقى إلا ميراث وسلوك على مدرجة محمد رسول الله ﷺ خاصة وإن كان للناس عامة ومما نسب إليه رضى الله عنه القول بخروج أهل النار منها ومما يرد ذلك على القائلين به قوله رضى الله عنه فى عقيدته والتأييد للمؤمنين والموحدين فى النعيم المقيم فى الجنات حق والتأييد لأهل النارفى النار حق - وقوله فى الباب ٣٧١ من كتابه الفتوحات المكية : وإذا لم يبق فى النار أحد إلا أهلها وهم فى حال العذاب يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيوضع بين الجنة والنار ينظر إليه أهل الجنه وأهل النار فيقال لهم أتعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجعه الروح الأمين ويأتى يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيذبحه ويقول الملك لساكنى الجنة والنار خلود فلا موت ويقع اليأس لأهل النار من الخروج منها إلى آخر ما قال فى ذلك .

وفى لواقح الأنوار التى جمعها محمد بن سويدكين من مجالس سيدى محيى الدين وتقريراته : اعلم يا أخى أن جميع ما وجدته من قولنا بخروج

أهل النار منها فى سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنابهم عصاة الموحدين انتهى - وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبدالكريم الجيلى فى شرحه لباب الأسرار من الفتوحات المكية فقال : إياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ أنه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فإن ذلك خطأ وقد ذكر سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر عند الدفاع عن سيدى محيى الدين فى هذه المسأله أنه رجع على يديه جماعات كثيره من صوفية زمانه الذين لا غوص لهم فى الشريعة فى اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيى الدين وتابوا إلى الله تعالى بعد أن كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم - ويكفى هذا فى رد الشبه عن الصوفية فى هذه المسألة.

أما الأثر الوارد فى خلق الإنسان على صورته بإرجاع الضمير إلى الحق فقد أجاب عنه الكثير من أئمة الصوفية بما فيه تنزيه الحق جل شأنه عن مماثلة خلقه وعدم إثبات وصف للخلق مما هو للحق بالأصالة كما أفاد ذلك صاحب عوارف المعارف بقوله : فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حى قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهى لله تعالى مضافة باللفظ وذلك

أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا فى الأسماء التى هى عبارة تلفظ فقط - وباقى تحقيق ذلك بهذا الكتاب فارجع إليه إن أردت - وأما سماع الكلام الإلهى للورثة التابعين للأنبياء بصفة خاصة متميزة عن سماع الأنبياء كإلقاء فى الروع أو مما يتأدى به فى سمعه أو سره وقد حكى أن طائفة من بنى اسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه وليس ذلك موجبا لهم أن يكونوا فى درجة سيدنا موسى عليه السلام ولا أن يكونوا شركاء فى نبوته ونفس ورود الخطاب إلى السامعين يمكن الاختلاف فيه بحسب مراتب السامعين . وإن أردت زيادة تحقيق ذلك فارجع إليه بكتاب عوارف المعارف للسهرودى وكتاب الإبريز لسيدى عبدالعزيز الدباغ والفتاوى الحديثية لابن حجر وأما قوله تعالى ﴿ **عالمُ الغيب فلا يُظهرُ على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسولٍ فإنَّه يسلكُ منْ بينَ يَديـه ومنْ خَلفه رَصَداً** ﴾فأحد الأجوبة عن ذلك أن ذلك المختص به الرسل هو التشريع الذى ليس لغيرهم فيه نصيب ويقويه ما جاء فى الآيه التاليه ﴿**ليعلمَ أن قدْ أبْلَغُوا رسالات ربِّهم** ﴾ وجواب آخر أن فى الكلام حذفاً يدل على صحة تقديره الواقع من كشوف الأولياء للأمور المستقبلة وإخبارات الشرع لقوله تعالى ﴿ **قال الذى عنده علمٌ من الكتابِ أنا ءاتيكَ به قبلَ أن يرتد إليكَ طرفُك** ﴾ نعلم ما غاب

عن غيره ولم يكن نبيا ولا رسولا . وما جاء عن سيدنا الخضر فى القرآن العزيز من علمه بالمغيبات وليس برسول اتفاقا . وما ألهم الله عز وجل به أم موسى عليه السلام من قذفه فى التابوت وإلقائه فى اليم وورد أيضا أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه أخبرنا فى بطن زوجه وصح إخباره . وغير ذلك من شواهد الشرع فى هذه المسأله وارجع إلى كتاب الفتاوى الحديثية للشهاب ابن حجر ففيه غير ذلك من أجوبة وتوضيحات - وإليك بعض التوضيحات للغريب من كلام بعض الصوفية ذكرها أيضا الشهاب ابن حجر المكى فى فتاويه الحديثية ردا على سؤال وجّه إليه : ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان الإنكار ومنّ عليهم بالاعتقاد فى أوليائه وحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها عنها أجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة لا يهتدى إليها إلا الموفقون ولا يعرض عنها إلا المخذولون فاحذر أن تكون ممن يتحسى كأس سم الإنكار فيهلك لوقته وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته فقد قال على لسان الصادق المصدوق ﴿ **من عادَى لى وليا فقد آذنته بالحرب** ﴾أى أعلمته أنى محارب له قال الأئمة ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا المنكرين على أوليائه وآكلى الربا ومن حاربه الله لا يفلح أبدا ، أحد تلك المسالك أن تلك الكلمات

حكاية عن حضرة الحق ونطق عما يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوز فى نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية والقرب يبسط لهم العذر ويرفع عنهم الإصر ممن اعتمد هذا المسلك الشهاب السهرودى المجمع على إمامته فى العلوم الظاهره والباطنه فى عوارفه حيث قال وماحكى عن أبى يزيد رضى الله عنه من قوله سبحانى حاشا الله أن يُعتقد فى أبى يزيد أن يقول مثل ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى قال وذلك مما ينبغى أن يعتقد فى الحلاج رحمة الله فى قوله أنا الحق ، ثانيها أن ذلك وقع منهم فى حالى الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء فى المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه : ألا ترى أن بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه فى فكره وخاطره فإنه إذا كان هذا فى الأمور السافلة التى لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق على القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب وعوالم الملكوت المنكشفة لهم فى منازلاتهم ومشاهدة عجائب القدرة فى ترقياتهم فإن ذلك لا يبقى فى القلب شعورا ولا تمييزا بل يصير صاحبه كالسكران الثمل إلى آخر ما قال رضى الله عنه فى هذا الجواب واقتصرت على ذلك اختصارا وطالب الزيادة مهتم بالوقوف على مطلبه وباحث عن المسالك الموصلة إليه والله الموفق .

ومما أجاب به الشهاب ابن حجر أيضا فى فتاويه الحديثية بخصوص المنسوب إلى سيدنا أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه من قوله : خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله . هذا القول لم يصح عنه وإن صح فقوله « أى قول سيدنا أبى يزيد » جميع ما أعطى الأولياء مما أعطى الأنبياء كزق مُلىء عسلا فرشحت منه رشحات فتلك الرشحات هى ما أعطى الأولياء وما فى باطن الزق هو ما أعطى الأنبياء يوجب« إن لم يكن صدر منه فى حال السكر» صرف ذلك القول عن ظاهره ويعين تأويله بما يليق بجلالة الأنبياء بأن يقال وقفوا بساحله ليعبروا فيه من رأوا فيه أهلية العبور ويمنعوا من لم يروا فيه أهلية العبور أو ليدركوا من رأوه أشرف على الغرق أو نحو ذلك مما فيه نفع للغير كما يقف الأفضل يشفع فى دخول الجنة ويدخل المفضول وعلى كل حال فلا يظن بأبى يزيد نفع الله به إلا ما يليق بجلالة قدره وعلو مقامه وما علم منه من تعظيم الأنبياء وشرائعهم ونهاية الأدب مع جميعهم .

وقد أورد سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى كتابه لطائف المنن بالجزء الأول منه ردودا واضحة مريحة للطالب على أمثال ما مر من غرائب كلام سيدى أبى يزيد وغيره من سادات الصوفية ومرجعها إلى أن ذلك ليس على ظاهره الذى لا يستريح إليه من لم يقف على سلامة فطرة القوم من شوائب العلو على الله والجهل بعظمته وصفاته وما يليق بذاته . وأيضا فى اللغة اتساع لحمل

معانى هذه الغرائب على أحسن المحامل مع أن القوم رضى الله عنهم لا يقصدون بإيراد هذه الألفاظ تعمقا وتصعيبا على الواقفين عليها بل كل أحوالهم مع الله وبالله لا يصدر منهم عمل أو قول لهم فيه نفس حية معتبرة والشواهد على ذلك سلوكهم الخاص المقتضى محو النفس واعتباراتها وما يتحفون به من كرامات حسية ومعنوية وما يبدو عليهم من خشوع ووقار وحياء وهيبة تستهوى إليهم السليم الفطره الخالى من الجمود والجدل المهتم بصلاح نفسه وإسعادها وإن أردت زيادة الوقوف على حلول هذه الغرائب فأرجع إلى الكتاب المذكور والله يتولى هدى الجميع .

استيفاء هام

وأختم هذا الوصل بذكر الكتب المرجوع إليها فى الوقوف على حلول غرائب كلام القوم وعلومهم وأحوالهم ورسومهم ليكون مرجعا لمن يريد التذوق لطريقهم رضى الله عنهم مبتدئا أو مستزيدا فمنها « كتاب مدارج السلوك إلى ملك الملوك للشيخ أبى بكر البنانى خصوصا مقدمته وخاتمته ، الفتاوى الحديثية لابن حجر ، الصواعق له أيضا ، الجوهر المنظم ، تحفة أهل الفتوحات والأذواق للشيخ فتح الله البنانى ، قواعد الصوفية للشيخ زروق ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، عوارف المعارف للسهروردى ، طبقات

الشعرانى ، تنبيه المغترين له أيضا وسائر كتبه رضي الله عنه وخصوصا اليواقيت والجواهر ، حلية الأولياء لأبى نعيم ، طبقات الصوفية للسلمى ، رسالة القشيرى ، صفوة التصوف للمقدسى ، شرح تائية السلوك للشرنوبى ، شرح الحكم العطائية لابن عجيبة وشرح المباحث الأصلية له أيضا ، تنوير الحلك للسيوطى ، نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر له أيضا ، حجة الذاكرين للشيخ عبدالقادر الأربلى ، محق التقول فى مسألة التوسل للشيخ الكوثرى ، تعريف الأنام فى التوسل لابن الحاج وغير ذلك من الكتب التى يهتدى إليها صاحب النصيب والله الهادى .

الفصل الثالث

فى تعريف التصوف وموضوعه وما يناسب ذلك

مقـــــدمة*

بعد أن أتيت فيما سبق من الكتاب على سبب الاعتراض على الصوفية ودفع هذه الاعتراضات وإيضاح أحوال القوم أحببت أن أفرد هذا الفصل للتعريف بالتصوف وموضوعه وقواعد وأحوال وأخلاق أهله ليكون هذا الفصل بمثابة الغذاء بعد تعاطى الدواء وحصول الشفاء والتوفيق من الله - وسأضم إليه ما تيسر من كلام القوم فى سائر الأذواق والعلوم وعلى الله قصد السبيل .

وصل - تعريفه « حده »

تعددت تعاريف التصوف بحسب الأذواق والتحصيل وكلها ترجع لتعريفه بصدق التوجه إلى الله تعالى وتحرير الخدمة والعبودية له جل شأنه .

وقد ذكر الكثير من هذه التعاريف والحدود صاحب حلية الأولياء عند ذكر صفة وحال كل سيد من القوم ترجم له فأخذ من تلك الصفة وذلك الحال حداً

للتصوف عبر عنه بكتابه - وتبركا بعلوم السادة وصفاتهم وأحوالهم أذكر هنا بعض هذه التعاريف فأقول :

ذكر رضى الله عنه فى ترجمة سيدنا أبى بكر الصديق بعد ذكر صفاته ومناقبه رضى الله عنه أن التصوف الاعتصام بالحقائق عند اختلاف الطرائق - وعند ذكر مناقب أخرى لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه يقول : إن التصوف تفرد العبد بالصمد الفرد . ويقول : إن التصوف الجد فى السلوك الى ملك الملوك ويقول : إن التصوف السكون إلى اللهيب فى الحنين إلى الحبيب . ويقول إن التصوف وقف الهمم على مولى النعم .

وفى ترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إن التصوف النبوّ عن رتب الدنيا والسمو إلى المرتبة العليا .

وفى ترجمة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول : إن التصوف الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى .

وفى ترجمة سيدنا الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه يقول : إن التصوف الرغبة الى المحبوب فى درك المطلوب وفى ترجمة سيدنا صهيب بن سنان بن مالك رضى الله عنه يقول : إن التصوف الأخذ بالأصول والترك للفضول والتشمير للوصول .

وفى ترجمة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : إن التصوف

مزاولة الأنس فى رياض معادن القدس .

وفى ترجمة سيدنا أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه يقول إن التصوف رتوع القلب الهائم فى مرتع العز الدائم .

وفى ترجمة سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول : إن التصوف مرامقة صنع الرحمن والموافقة مع المنع والحرمان وللاختصار أسوق هذه التعاريف مسترسلة من التراجم بدون الإشارة إلى الأسماء وهى :

إن التصوف المنافسة فى نفائس الأخلاق وفض النفس عن أنفس الأعلاق - إن التصوف البذل والإيثار والتشرف بخدمة الأخيار - إن التصوف الرضا بالقسمة والسخاء بالنعمة - إن التصوف التيقظ والانتباه والتبصر فى دفع التوهم والاشتباه - إن التصوف تدلل وافتخار وتذلل وافتقار - إن التصوف التحفظ من العثرة والتيقظ من الفترة - إن التصوف حفظ الوفاء وترك الجفاء - إن التصوف الإكباب على العمل والإعراض عن العلل - إن التصوف التعزز بالحضرة والتمييز للخطرة - إن التصوف دراية وصدق وسخاوة وخلق - إن التصوف بذل المجهود لمشاهدة المعبود - إن التصوف عرفان الحدود والحقوق ووجدان السكون والوثوق . انتهى ما أردت نقله من حلية الأولياء.

وإليك تعاريف أخرى للتصوف :

قال سيدى عبدالوهاب الشعرانى : التصوف عبارة عن علم انقدح فى

قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة .

وللجنيد رضى الله عنه فى تعريف التصوف : هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به - وقال أيضا : أن تكون مع الله بلا علاقة .

وقيل فى التصوف : ألا تملك شيئا ولا يملكك شىء . وقيل فيه : الإناخة على باب الحبيب وإن طرد . وقيل الجلوس مع الله بلا هم .

وقيل فى الصوفى الصادق : علامته أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة . وقيل : الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه إلا كل مليح ويطؤه البر والفاجر - وقيل : التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس . وقيل : هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك - وقيل : هو استعمال الوقت فيما هو أولى به ولذا قالوا : الصوفى ابن وقته .

ولسيدنا الجنيد هذا التعريف الجامع عن التصوف : اسم جامع لعشرة معان التقلل من كل شىء من الدنيا عن التكاثر فيها . والثانى اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب . والثالث الرغبة فى الطاعات من التطوع فى وجود العوافى . والرابع الصبر عند فقد الدنيا عن الخروج الى المسأله والشكوى . والخامس التمييز فى الأخذ عند وجود الشىء. والسادس الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال . والسابع الذكر

الخفى عن جميع الأذكار . والثامن تحقيق الإخلاص فى دخول الوسوسة . والتاسع اليقين فى دخول الشك .والعاشر السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة .

ولسيدنا ذى النون المصرى فى تعريف الصوفى قال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق .

وقيل : التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق ولسيدى محيى الدين ابن عربى فى التصوف : الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهى مكارم الأخلاق . وهو أن تعامل كل شىء بما يليق به مما يحمده منك وسيأتى فى الفصل الخاص بأصول الصوفية رضى الله عنهم وأحوالهم وأخلاقهم ما يزيد تعاريف التصوف بيانا والله الموفق .

وصل - موضوع التصوف وواضعه

موضوعه أحوال القلوب والأرواح والنفوس وأفعال الجوارح من حيث استقامة تلك الأحوال وهذه الأفعال ليحصل من وراء هذه الأستقامة التحقق بالمطلوب الحق وصدق العبودية المخلوق من أجلها الخلق ومما يفيد فى هذا الوصل ما جاء فى عوارف المعارف للإمام السهروردى . قال رضى الله عنه : فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف

وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا - ويفيد فى فهم موضوع التصوف أيضا قول أبى حفص رضى الله عنه : التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقا ت بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول .

فمن هذين التعريفين للتصوف تفهم أن موضوع التصوف سلوك خاص وتصفية خاصة وذوق خاص والسلوك شامل للجوارح والنفوس والقلوب والأرواح والتصفية الحاصلة بسبب هذا السلوك تختلف بإختلاف مراتب المبانى والمعانى وتفاوتها فى الكثافة واللطافة - والأذواق والفتوحات ثمرات التصفية والله أعلم وهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

وأما واضعه فهو النبى ﷺ بمعنى أنه ضمن الموحى إليه به المطلوب توصيله للعباد فإن المراد من التكاليف معرفة الحق والقيام بين يديه بصدق العبوديه ولا تصدق العبوديه إلا بتأدية الأعمال وليس للأعمال قيمة واعتبار إلا بالإخلاص فيها وتخليصها من الشوائب وليس للقوم ميدان اعتناء واهتمام غير هذا الإخلاص والتخليص فصح أن يقال إن التصوف هو التدين الصحيح لاغير .

وصل - اشتقاق اسم التصوف

اختلف فى إطلاق هذا الإسم عليهم فقالت طائفة « إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها » - وقال سيدنا معروف الكرخى رضى الله عنه « الصوفى من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته - وقيل فى ذلك:

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا ∴ جهلا وظنوا أنه مشتق من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ∴ صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

على أن اشتقاق هذا الإسم من الصوف المعروف لا مانع منه فهو لاختيارهم لباس الصوف لقلة الكلفة فيه وإيثار الخشونة على الترفه أو لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له وفى المروى عن سيدنا أنس بن مالك أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يلبس الصوف - وقيل أيضا أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف - وقال الحسن البصرى رضى الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف . فهذه أيضا مصححات لا شتقاق هذا الاسم من الصوف المعروف وفى عوارف المعارف للإمام السهروردى رضى الله عنه زيادات نافعة فى ذلك .

- وقيل سُمُّوا صوفية نسبة لأهل الصُفَّة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ وإن كان هذا الاشتقاق لا يستقيم لغويا ولكنه يستقيم من حيث المعنى لمناسبة حالهم لأحوال أهل الصُفَّة التى سأفردها بعد ذلك فى وصل خاص لزيادة الفائدة . ولهذا قال سيدى زروق رضى الله عنه أن هذا الأصل أى حال أهل الصفة ووصفهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه هوالذى يرجع إليه كل قول فى اشتقاق اسم الصوفى .

وفى حلية الأولياء بأوائل المجلد الأول فيها تحقيقات أخرى فى اشتقاق هذا الأسم يرجع إليها من أراد زيادة الفائدة . فيكفى هذا القدر هنا للاختصار .

وصل - أهل الصفة رضى الله عنهم

ذكر أنهم كانوا يجتمعون بمسجد رسول الله ﷺ لعدم وجود مساكن لهم بالمدينة وكان عددهم يزيد وينقص . أما أحوالهم فأعد بعضها متتابعا وهو: كانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، وكانوا يحتطبون ويقوم بمطالبهم إخوانهم الموسرون . فكان رسول الله ﷺ إذا أمسى ألحق بكل موسر عددا منهم يناسب سعته . ووردت بذلك الأخبار . وكانوا بسبب هذا الفقر وأختيار الباقى وإرادة الوجه الكريم عاكفين على عبادتهم فى سائر أوقات فراغهم وفيهم نز ل قوله تعالى ﴿**ولا تطردِ الذين يَدعونَ ربّهم**

بالغداة والعشىّ يُريدونَ وجهَه ﴾وقوله تعالى ﴿ **واصبر نَفْسَكَ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يُريدون وجهه**﴾ الآية ولهذا التعريف بحالهم كانوا محل نظر رسول الله ﷺ وإكرامه فكان يجلس معهم ولا يقوم إلا إذا قاموا إلى غير ذلك من صنوف الإتحاف والعطف والإمداد القلبى - وقد وفى سيدنا صاحب حلية الأولياء هذا الموضوع بيانا وذكر أسماءهم وذكر مع كل ترجمة من تراجمهم سنى أحوالهم ورفيع صفاتهم فارجع إليها فهى نافعة جدا والله الموفق .

وصل - ظهور التصوف

هذا الوصل متمم ومحدد لما سبق ذكره فى الكتاب بخصوص كون الصوفية ليسوا فرقة خاصة فى الدين أو على أحوال أخرى غير ما عليه سائر المتدينين المتبعين لشريعة سيد المرسلين ﷺ . وإنما أعدت القول فى ذلك هنا لمناسبته لتسمية التصوف والتعريف عنه وليرجع إليه فى مظانه . وأبدأ للتبرك بسرد ما قاله سيدنا الإمام القشيرى فى رسالته قال رضى الله عنه : اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب

الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق فكل طريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

ويقول ابن خلدون : ولما نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون بأنفاسهم على الله باسم الصوفية وللسراج الطوسى رضى الله عنه فى اللمع تحقيق تداخل التصوف فى الدين وأن ظهور اسم التصوف ورجاله فى عصر الاختلاط واتساع الدنيا ما ملخصه أنهم رضى الله عنهم لم ينفردوا بعلم من العلوم أو بنوع دون نوع لأنهم معدن جميع العلوم ومحل جميع الأحوال المحمودة والأخلاق الشريفة . وفى الحديث الشريف ما يؤيد هذا الظهور وهذا التحول والضعف الدينى فيما رواه البخارى رضى الله عنه « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . قال عمران لا أدرى أذكر النبى ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة . قال النبى ﷺ : أن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن » .

وفى صفوة التصوف للحافظ المقدسى زيادة على ذلك فى هذا الموضوع فارجع إليها أن شئت .

وأورد الإمام السلمى فى مقدمة كتابه طبقات الصوفية ما يشير إلى هذا التداخل لطبقات صلحاء هذه الأمه قال رضى الله عنه: وقد ذكرت فى "كتاب الزهد " من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين قرنا فقرنا وطبقة فطبقة إلى أن بلغت النوبة إلى أرباب الأحوال المتكلمين على لسان التفريد وحقائق التوحيد واستعمال طرق التجريد فأحببت أن أجمع فى سير متأخرى الأولياء كتابا أسميه « طبقات الصوفية» الى آخر ما قال فى هذه المقدمة . انتهى ما أردت إيراده فى هذا الوصل والله المعين .

وصل - استمداد التصوف

سبق فى الكتاب تقرير معنى أمر التصوف على التمسك بالكتاب والسنة أى أنه هو نفس التدين المشروع فعلى هذا يفهم استمداده من الكتاب والسنة ومن الفتوحات الناتجة من العمل بحسبهما .

وصل - حكم الشارع فى التصوف

يفهم هذا أيضا مما مر من أن التصوف هو التدين الصحيح لا غير والشارع

يطالب المكلفين بتأدية المطلوب منهم صحيحا تاما ولا يتحقق ذلك إلا بالإخلاص فى المؤدى وتخليصه من شوائب النقص وعدم القبول واهتمام المتصوفة هو هذا الإخلاص والتخليص فلهذا عدّه سيدنا الإمام الغزالى رضى الله عنه فرض عين . وسافر طالبوه وجاهدوا لتحصيل أذواقه من أهله حشرنا الله فى زمرتهم أمين .

وصل - تصور مسائل التصوف

أفاد سيدنا ابن عجيبه فى شرحه للحكم العطائيه بأن تصور مسائل التصوف هو معرفة اصطلاحاته ، وحقق أخيرا أن مسائل هذا العلم هى القضايا التى يبحث عنها السالك فى حال سيره ليعمل بمقتضاها - فينبغى تصورها قبل الشروع فى الخوض فيه علما وعملا - يقول الفقير : سلوك طريقهم رضى الله عنهم بالحال وإن أرشد إليه بالمقال . فلهذا اختلفت تصورات مسائله وفهمها والسير بمقتضاها ونتج عن ذلك اختلاف الأذواق والثمرات المتحصله من هذا السير .

وتختلف أيضا طرق التربية والتوصيل بحسب الأزمنة والإستعدادات وغير ذلك . فالطالب لحقيقة مسائل التصوف لا يقف على ذلك كاملا صحيحا إلا إذا دخل ميدان أهله صادقا جاداً خاليا من كل عائق ومعطل ثم رُزق العكوف

والاستمرار فى طريقه فيثمر له ذلك ذوقا خاصا لكل ما يتعلق بسيره من وسائل ونتائج والأذواق لا تؤخذ من الأوراق وعلى الله قصد السبيل .

وصل - فضيلته

فضيلة الشيء مرتبطة بمتعلقه ولا شيء أفضل من متعلق التصوف فإن موضوعه تحقيق العبودية وإثباتها لمستحقها جل شأنه وما خلق الخلق إلا لذلك فبان بذلك فضل التصوف وشرفه - قال سيدنا الإمام الجنيد رضى الله عنه : لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه .

وصل - نسبته من العلوم

أذواق التصوف وعلومه شرط لازم لكل علم وعمل وحال فإن تصحيح العلوم والأعمال والأحوال ينبنى على هذه الأذواق والعلوم . فهو للدين بمثابة الروح للجسد . والعلوم بدون التصوف ناقصة أو ساقطة لخضوعها لنظام التحصيل والتفكير والتحرير وعدمه . وعلوم التصوف منح إلهية صحت لأصحابها نتيجة تقواهم وخدمة مولاهم . وفى ذلك وردت الآيات القرآنيه

والأحاديث النبوية . قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ وفى الحديث الشريف « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » .

وصل - ثمرة التصوف

سبقت الإشارة إلى ذلك فى غضون الكتاب والخلاصة أن فائدة التصوف وثمرته هى التحلى بحلية العبودية ومعرفة حقوق الربوبية وتحت هذا الأصل يندرج كل كمال معنوى أو حسى .

وصل - نعوت الصوفية

أحببت أن أورد فى هذا الوصل نعوتا للقوم ذكرها سيدنا صاحب حلية الأولياء لنفاستها وحلاوة منطوقها ومفهومها. قال رضى الله عنه : واعلم أن لأولياء الله تعالى نعوتا ظاهرة وأعلاما شاهرة ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيون وهو ما حدثنا محمد بن جعفر بن ابراهيم حدثنا جعفر بن محمد الصائغ حدثنا مالك بن اسماعيل وعاصم بن على قال حدثنا قيس بن الربيع حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد

الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله عز وجل » فقال رجل من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم قال «قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم قرأ ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

استطرد رضى الله عنه بعد ذلك فى سرد بعض نعوتهم مؤيدا لذلك بمرويات شريفة أذكرها عقب النعت مجردة من السند للاختصار . قال رضى الله عنه : ومن نعوتهم : أنهم المورثون جلاسهم كامل الذكر والمفيدون خلاتهم بشامل البر .

الحديث : عن سعيد رضى الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله قال : « الذين إذا رءوا ذكر الله عز وجل» ومن نعوتهم : أنهم المسلمون من الفتن الموقون من المحن .

الحديث : عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « إن لله عز وجل ضنائن من عباده يغذيهم فى رحمته ويحييهم فى عافيته إذا توفاهم توفاهم الى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية » .

ومنها : أنهم المضررون فى الأطعمة واللباس المبرورة أقسامهم عند النازلة

والباس .

الحديث : عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « كم من ضعيف متضعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك .

وساق رضى الله عنه تحقيق ذلك والاستشهاد له فقال : ثم إن البراء لقى زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون فى المسلمين فقالوا له يا براء إن النبى ﷺ قال لو أقسمت على ربك لأبرك فاقسم على ربك فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكنافهم فمنحوا أكنافهم . ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا فى المسلمين فقالوا أقسم يا براء على ربك عز وجل قال أقسم عمليك يا رب لما منحتنا أكنافهم وألحقتنى بنبيك ﷺ فمنحوا أكنافهم وقتل البراء شهيدا .

وحديث آخر فى هذا المعنى ساقه أيضا وهو : رب أشعت ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله عز وجل لأبره .

ومن نعوتهم : إن ليقينهم تنفلق الصخور وبيمينهم تتفتق البحور .

الحديث : عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ « ما قرأت فى أذنه» قال قرأت ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا** ﴾ حتى ختم السورة فقال رسول الله ﷺ « لو أن رجلا موقناً قرأها على جبلٍ لزال » . ومنها : أنهم سُبّاق الأمم والقرون وبإخلاصهم

يمطرون وينصرون .

الحديث : عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « لكل قرن من أمتى سابقون » . ومنها أنهم نظروا الى باطن العاجلة فرفضوها وإلى ظاهر بهجتها وزينتها فوضعوها .

وقد ذكر رضى الله عنه بعد ذلك : حدثنا أبو بكر أحمد ابن جعفر بن مالك حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنى غوث بن جابر قال سمعت محمد بن داود يحدث عن أبيه عن وهب بن منبه قال قال الحواريون يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قال عيسى عليه السلام : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالا وذكرهم إياها فواتا وفرحهم بما أصابوا منها حزنا فما عارضهم من نيْلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه وخَلَقت الدنيا عندهم فليسوا يحيونها بعد موتها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله عز وجل ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم خير عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه

قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه عملوا وليسوا يرون نائلا مع ما نالوا ولا أمانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون .

قال سيدنا صاحب حلية الأولياء بعد ذلك :

وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار .

وساق تعريفا للأبدال من سيدنا ذى النون المصرى وهو رد وجواب لسائل .

قال رضى الله عنه : إنك لتسألنى عن دياجى الظلم لأكشفنها لك عبدالبارى « وهوالسائل» هم قوم ذكروا الله عز وجل بقلوبهم تعظيما لربهم عز وجل لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله تعالى على خلقه ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته وأقامهم مقام الأبطال لإرادته وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل مجاملته وكساهم حللا من نسج مودته ووضع على رءوسهم تيجان مسرته ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهى معلقة بمواصلته فهمومهم إليه ثائرة وأعينهم إليه بالغيب ناظرة قد أقامهم على باب النظر من قربه وأجلسهم على كراسى أطباء أهل معرفته ثم قال إن أتاكم عليل من فقرى فداووه أو مريض من فراقى فعالجوه أو خائف منى فأمنوه أو آمن منى فحذروه أو راغب فى مواصلتى فهنئوه أوراحل نحوى فزودوه أو جبان فى متاجرتى فشجعوه

أو آيس من فضلى فعدوه أو راج لإحسانى فبشروه أو حسن الظن بى فباسطوه أو محب لى فواظبوه أو معظم لقدرى فعظموه أو مستوصفكم نحوى فأرشدوه أو مسىء بعد إحسان فعاتبوه ومن واصلكم فىّ فواصلوه ومن غاب عنكم فافتقدوه ومن ألزمكم جناية فأحتملوه ومن قصر فى واجب حقى فاتركوه ومن أخطأ خطيئة فناصحوه ومن مرض من أوليائى فعودوه ومن حزن فبشروه وإن استجار بكم ملهوف فأجيروه .

يا أوليائى لكم عاتبت وفىّ إياكم رغّبت ومنكم الوفاء طلبت ولكم اصطفيت وانتخبت ولكم استخدمت واختصصت لأنى لا أحب استخدام الجبارين ولا مواصلة المتكبرين ولا مصافاة المخلطين ولا محاوبة المخادعين ولا قرب المعجبين ولا مجالسة البطالين ولا موالاة الشرهين الى آخر ما قال رضى الله عنه فاطلبه فى محله إن أردت . وقال رضى الله عنه : وهم الشغفون به وبوده والكلفون بخطابه وعهده . وذكر تعريفاً وعلامة للصفوة والخيرة من عباد الله وهو ما قاله سيدنا ذو النون المصرى : إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود فى الطاعة وأحب سقوط المنزلة - وأتبعه بتعريف آخر لسيدنا ذى النون أيضا جوابا لمن سأله : مَنْ هؤلاء القوم يرحمك الله؟ فقال « ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادا والتراب لجنوبهم مهادا هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم

بالإدلاج فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت وضموه إلى صدورهم فانشرحت وتصدعت هممهم به فكدحت فجعلوه لظلمتهم سراجا ولنومهم مهادا ولسبيلهم منهاجا ولحجتهم إفلاجا يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن الناس ويخافون فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت إلى آخر هذه الكلمة واكتفيت منها بما مر للاختصار .

ومن نعوتهم ما قاله أيضا الشيخ أبو نعيم فى كتاب الحلية المذكور قال رضى الله عنه :

وهم مصابيح الدجى وينابيع الرشد والحجا خصوا بخفى الاختصاص ونقوا من التصنع بالإخلاص .

الحديث : عن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال : مر عمر بمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهما وهو يبكى فقال ما يبكيك يا معاذ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول :« أحب العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح الظُلَم » .

ثم ختم رضى الله عنه هذه النعوت بقوله : وهم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف والموفون الطاعات من غير تطفيف .

الحديث : عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال : « إن لله عز وجل

خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس قلنا يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس قال كانت همتهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه وزهدوا فى فضول الدنيا ورياستها ونعيمها وهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا .

وصل - أخلاقهم رضى الله عنهم

يقول الله تعالى مادحاً نبيه ﷺ ﴿ **وإنَّكَ لَعَلىَ خُلُقٍ عظيم** ﴾ وفى المأثور عنه ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . والأحاديث الوارده فى حسن الخلق وثمرتة ثابتة كثيرة - والصوفية حالهم وأساس طريقهم حسن المتابعة والاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ وهم قد وقفوا فى بداياتهم لرعاية أقواله وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك أن تحققوا فى نهايتهم بأخلاقه - وهم قد عملوا على تزكية نفوسهم ورياضتها على كريم الطباع وسنى الأخلاق زيادة على رياضتها على تغيير العادات المألوفة والميول والطبائع البشرية المتعلقة بالبدن ولوازمه .

وقد قيل فى الخلق العظيم الذى مدح الله تعالى به نبينا ﷺ أنه الدين العظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والقربات المقصود بها وجه الله وإقامة شعائر العبودية لجنابه العالى ، وقال سيدنا الجنيد رضى الله عنه « كان

خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى » ومبنى أمر التصوف على هذا المبدأ وبتحققه تتيسر مكارم الأخلاق العامة في النفس ومع الغير من الخلق .

فمن **أخلاقهم** رضى الله عنهم التواضع وحقيقته الاعتدال بين الكبر والضعة - وما نقل عن بعضهم من أقوال مؤذنة بالإعجاب فهو إما للتعريف الضرورى لطالب الانتفاع بطريقهم وإما من غلبة الحال وذلك مسامح فيه .ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع حتى تثبت قدمه فى معرفة ربه وشهود تجلياته فعند ذلك تذوب النفس وفى ذو بانها خلوصها من آفة الكبر والعجب والاعتداد الذاتى .

ومن **أخلاقهم** رضى الله عنهم المداراة واحتمال الأذى من الخلق لأن بذلك تقطع حمة النفس ويرد طيشها ونفورها وفى ذلك تصفية جوهرها وبلوغها أمنيتها من الكمال . وفى الحديث الشريف عن أبى الدرداء قال رسول الله ﷺ « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » .

ومن **أخلاقهم** الإيثار والمواساة ومعنى الإيثار فى أعلى صوره إيثار جناب الحق على كل شىء وصور الإيثار بعد ذلك مجموعة فى تقديم حق الغير على حق النفس فى حدود الميزان الشرعى.

ومن أخلاقهم ترك التكلف وذلك لأن فى التكلف ظهور النفس وتعويق السير وعدم الرضا بالواقع .

ومن أخلاقهم القناعة باليسير من الدنيا وشواهد ذلك معروفة فيهم ومروية عنهم .

ومن أخلاقهم ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق وفى ذلك تهذيب النفس ولزومها مركز الاعتدال فيتأتى لصاحبها بلوغ درجات الكمال .

ومن أخلاقهم التودد والتألف والتعاون على الخير وفى ذلك تيسير القيام بواجب العبودية للربوبية . وهذا الخلق ظاهر فى طريقهم معمول به فى سائر طوائفهم وعلى أساسه تقوم دعوة الورثة إلى الله منهم .

ومن أخلاقهم التفويض والتسليم للحق فى أمر أنفسهم ومن يلزمهم من الأهل والأصحاب وأمر هذا الخلق مشهور ومشهود فيهم وبسببه تتحقق معرفتهم بنفوسهم وبواجبها من العبودية لربهم .

ومن أخلاقهم غيرتهم لله تعالى إذا انتهكت حرماته .

ومن أخلاقهم رؤية محاسن الناس والتعامى عن مساويهم إلا ما أوجبه الشرع من التعريف لإقامة الحدود .

ومن أخلاقهم عدم الاستشراف إلى ما ليس عندهم أو ليس فى إستطاعتهم الحصول عليه .

ومن أخلاقهم كتمان ما فى الإباحة به حصول الضرر أو التعويق للغير . ولا يعارض هذا ما عرف وحكى من أحوالهم وأقوالهم الغريبة فى العادة فذلك إما عن غلبة حال أو للتعريف والإنهاض للغير .

ومن أخلاقهم اجتناب مواضع التهم وكل ما ليس فيه تحصيل الخير وأسبابه والاستزادة منه.

ومن أخلاقهم عدم الاغترار بما أقيموا فيه من أحوال حسنة فإن واجب العبودية عندهم لا يدع لهم حالا ولا مقالا يقف العبد معه ويرضى به دون المطلوب الحق .

ومن أخلاقهم الحياء وفى الحديث الحياء من الإيمان ولكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء .

وأكتفى بما سبق من أمهات أخلاقهم رضى الله عنهم وطالب الاستزادة عليه الرجوع إلى كتبهمم أو المكتوب عنهم كعوارف المعارف للسهرودى وتنبيه المغترين لسيدى عبدالوهاب الشعرانى .

وصل - أصول طريقهم وقواعده

مر فيما سبق ذكر بعض أصولهم وقواعدهم ومبانى طريقهم ولكنى سأذكر فى هذه الوصل ما يوفقنى الحق له من جملة هذه الأصول والقواعد والمبانى

ليسهل بذلك الوقوف على أساس طريقهم فأقول :

١- من قواعدهم رضى الله عنهم بل وهى القاعدة الأولى لطريقهم الذى هو نفس الطريق المحمدى المشروع ملازمة العمل بالكتاب والسنة وتبحرهم فى علوم الشريعة وقد سبق إيضاح ذلك فى إثبات تمسكهم بالشريعة .

٢- الإخلاص فى العلم والعمل وتخليص الوجهة لله تعالى .

٣- تعمير الأوقات بطاعة الله تعالى بحسب ما يناسب حال الشخص وزمان الطاعة وظروفها .

٤-الاقتداء بمن سلكوا الطريق وعرفوا منازله وسائر أحواله حتى يتم لهم أمر الوصول على أساس سليم .

٥- معرفة قيمة الدنيا وحقيقتها وأنها دار فتنة وابتلاء وتحصيل لما بعدها .

٦-الانتباه الدائم لعلاج نفوسهم وتصفيتها وتحليتها بما يؤهلها للخدمة الصادقة والعبودية الكاملة .

٧-تصريف الأخلاق والمعاملات مع الغير بحسب الموازين الشرعية لا بحسب الأهواء النفسية .

٨-رضاهم بما يقيمهم الحق فيه من شدة أو رخاء وذلك لأنهم مع المقيم لا مع الإقامات .

٩- التناصح والتواصى بالحق وبما يسهل لهم طريق الوصول .

١٠- الوقوف على علوم وأحوال وأعمال السادة المرشدين من الأحياء والمنقولين لترسم خطاهم والسير على منوالهم والتبرك بآثارهم .

١١- عدم التسلل على مقامات الرجال وادعاء أحوالهم بدون الأهلية والموافقة الفعلية الحالية والمطلوب العلم بها للتبرك والرغبة فى النهوض إليها والتحقق بها .

١٢- عدم الأمان فى السير حتى تنمحى صفات النفس ويحصل الإذعان الكلى لأمر الحق وتصريفه .

١٣- عدم الغفلة عن طلب الزيادة والترقى فى درجات القرب فمن لم يكن فى الزيادة فهو فى نقصان والقناعة من الله حرمان ومن أستوى يوماه فهو مغبون .

١٤- عدم الركون إلى ما يسر من الأحوال وعدم اليأس والقنوط والتراخى بسبب ضعف الحال وقلة التوفيق والمطلوب على أى حال هو الله وليس لهم غيره قرار ولا لهم عن نفوسهم إخبار .

١٥- كثرة الصمت والنطق بالحكمة ومراعاة مناسبات الكلام ومراميه .

١٦- الاهتمام بتذوق أسرار الشريعة والنفوذ إلى روح الأعمال وأسرار الأقوال .

١٧- الفتوة ومن أهم صورها عندهم التمسك بالعلم المشروع كما حقق ذلك

سيدى محيى الدين بن العربى فى الفتوحات المكية .

١٨- السخاء وعدم الشح وقد قيل : من أقبح القبيح صوفى شحيح . وليس السخاء بالمال فقط بل بكل نافع حسى أو معنوى .

١٩- التريث والهدوء فى الإقدام والدخول فى الأعمال والشئون العادية حتى تتحقق أولوية وأحقية الدخول فيها .

٢٠- اتقاء الشبهات فى كل شيء يطرقونه من أمور معايشهم أو أحوال سلوكهم .

٢١- معرفة الأنسب فى بث الإرشاد أو عدمه بحسب المواطن والقوابل وما يترتب على ذلك من النتائج .

٢٢- حضور النيات الحسنة عند الدخول فى المباح من الأقوال أو الأفعال فيراعون الأسباب والمقاصد التى من أجلها يأتون بالمباح .

٢٣- إحياء السنن المحمدية التى هجرها غيرهم لصعوبة ممارستها أو للجهل بها . وتشهد ذلك فى الأحوال التى هم عليها فى السلوك كالأجتماع على الذكر ولبس المرقعات . وتفصيل ذلك بأوائل كتاب مدارج السلوك للشيخ أبى بكر البنانى فارجع إليه فهو هام فى إيضاح هذه القاعدة وكذلك لسيدى عبدالوهاب الشعرانى مجموعة كبيرة من الآداب المحمدية والوظائف الشرعية فى كتاب لواقع الأنوار القدسية فى بيان العهود

المحمدية ومجموعة أخرى من عهود المشايخ فى كتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود فى استيعابها هنا خروج عن الاختصار المنشود فى هذا الكتاب والانتظام فى سلكهم محصل للمقسوم من أحوالهم والله الموفق .

هذا وقد جمع صاحب كتاب هداية الراغبين فى السير والسلوك إلى ملك الملوك رب العالمين هذه الأصول فى عشرة وهى :-

١- التوبة وعرّفها هناك وأوثر الاختصار هنا .

٢- شكر المنعم عز وجل وشرحه هناك أيضا .

٣- الصبر على البلاء - ومنه حبس النفس على ما أصابها مما لا يلائم رضاها . وأيضا الصبر على الأحكام التكليفية .

٤- الرضا وهو الخروج عن رضا نفسه بالدخول فى رضا ربه .

٥- اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله.

٦- الجوع اختيارا - والحالة الوسطى بين الإفراط والتفريط هى المرادة هنا.

٧- العزلة عن الناس . وشرح هناك ما تفيد الخلطة معه وما تدعو الضرورة للاختلاط به - ومبنى العزلة وعدمها على تحصيل المطلوب .

٨- الصمت ظاهرا وباطنا إلا عن ذكر الله تعالى .

٩- السهر للتهجد والذكر .

١٠- الذكر والفكر .

وأزيدك فائدة وبركة فأنقل هنا أصول هذا الطريق من تائية السلوك إلى ملك الملوك لسيدى أحمد عرب الشرنوبى وهى مشروحة فى كتاب للشيخ عبدالمجيد الشرنوبى الأزهرى .

قال رضى الله عنه :

أصول طريق القوم أهل الحقيقة ∴ هداة الورى المهدين من خيرملـــة

طهارة أنفاس وصدق مودة ∴ وحذق وآداب وتجـــريد همـــــة

حياء وإخلاص ذكاء وفطنة ∴ كذا الورع المحمود فى كل شرعة

وذوق وشوق والحضور بقلبه ∴ وفطم مــراد النفس عن كل شهــوة

وزهد وقنع بالكفاف ورهبة ∴ من الله فى حـــالىْ رخاء وشـــدة

وتفويض أمر ثم حسن توكل ∴ خضوع خشوع والبكاء بذلـــــة

وتقوى إله العرش سرا وجهرة ∴ وحسن مسير فى علوم الشريـــعة

وعزف عن الأكدار والغير والسوى ∴ وبذل وتهذيب واخـــــلاص نيـــة

وصمت وتسهيد وموت بحبه ∴ وتحسين أوصاف وتجويع معــــدة

وإثبات إيثار وبسط كرامة ∴ بما حزت من مال وروح لمنحـــــة

ورفق وتصديق وعشق محبة ∴ وسحق ومحق والفنا بعد ســـكرة

وحمد وشكر والوفا بأوامر ∴ ولا تعد عن حكمى كتاب وســـنة

وراقب جناب الحق من غير أن ترى ∴ لنفسك فعلا من فعال جميلـــــة

ولابد من فكر وذكر ووجهـــة ∴ على يد شيخ عارف بالطـــريقة

ثم أخذ رضى الله عنه بسرد أوصاف الشيخ وواجب المريد وغير ذلك من رسوم الطريقة وثمراتها مما لا يتسع له هذا المختصر . ولتمام الفائدة أذكر من شرح البيتين الأولين من هذه المنظومة ما يتيسر لتعلقه بذكر أصول الطريق. قال الشارح رضى الله عنه : أقول أصول جمع أصل بمعنى الأساس الذى ينبنى عليه غيره وقد أراد المصنف بالأصول فى هذه المنظومة ما يشمل الأركان واللوازم والشروط والأحوال فإن الأصول عندهم ثلاثة عشر التوبة والخوف والرجاء والحزن والقناعة والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر وجهاد النفس والرضا بالقضاء وترك العباد أى ترك الالتفات لأحوالهم ولو مع الخلطة بهم ليحصل التغاير بينه « أى بين ترك العباد » وبين العزلة «أى العزلة بالجسم » التى هى ركن من الأركان الأربعة المجموعة فى قول بعضهم.

بيت الولاية قَسمت أركانهَ ∴ ســاداتنا فيه من الأبــدال

ما بين صمت واعتزال دائم ∴ والجوع والسهر النزيه الغالــى

واللوازم التى لابد منها لمريد السفر لا سيما مريد سفر الآخرة عشرة : المقصد وهو الباعث على السفر والدليل وهو الشيخ والزاد وهو التقوى

والسلاح وهو الوضوء والسراج وهو الذكر والمطية وهى الهمة القوية والعكاز وهو العجز والحزام وهو الحزم والمنهاج وهو الشريعة والرفقة وهم إخوان الصدق وما عدا ذلك فهو من الشروط والأحوال - ثم قال : والشروط عندهم كثيرة وتارة يعبرون عنها بالآداب فمنها دوام المراقبة والموت الأختيارى ومحاسبة النفس وملازمة الشيخ ومداومة الذكر والأوراد وحِل ما به الانتفاع من الأكل ونحوه والاقتصاد فيه وترك الأفتخار بالعلم والجاه والنسب والغربة إما بالجسم أو بالقلب وحسن الأخلاق والوفاء بالوعد وحفظ القلب من موجبات الجفاء والرفق فى كل الأمور والكرم والعفو عمن أساء أو ظلم والتأنى فى الأمور وكظم الغيظ والحلم والخشوع والصدق والخضوع وتصفية الباطن من الحقد والحسد والغرور والبغضاء وذل النفس لا عن منقصة والرحمة للمخلوقين والأدب معهم . ومن أوكد الشروط اجتناب الأحداث وأصحاب النفوس وترك الخلطة بالإناث وعدم استبطاء الفتح وعدم الانتصار للنفس ولو بحق وترك سماع مدح مادحه ولو بصدق وأن لا يحزن على ما فات ولا يفرح بما يأتى من أمور الدنيا وعدم اتباع الهوى وترك الجدال والمراء والرضا بالقضاء والحمد لله على كل حال - انتهى ما أردت نقله من تائية السلوك للشرنوبى واسمع لهذا الإجمال البديع الذى جاء فى كتاب عوارف المعارف للإمام السهرودى فيما نحن بصدده من بيان أصول الطريق وقواعده وأركانه

ومقاماته قال رضى الله عنه : التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهى أول المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإنى بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدى اعتبرت المقامات والأحوال وثمرتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة ثم رأيتها فى إفادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التى جعلها الله تعالى بإجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت فأحد الثلاث بعد الإيمان التوبة النصوح والثانى الزهد فى الدنيا والثالث تحقق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهى قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الناس واتفق العلماء الزاهدون والمشايخ على أن هذه الأربع بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الأبدال أبدالا بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تندرج فى صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها - وهكذا استمر رضى الله

عنه يفصل هذا الإجمال ويوضح ما تحت هذه المقامات الأصلية من مقامات فرعية . وزيادة فى الإفادة والتبرك بأقوال الرجال أسرد إجمالا اخر لشيخ الإسلام أبى إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى الهروى الفقيه الحنبلى المفسر الصوفى فى كتابه منازل السائرين . قال رضى الله عنه :

واعلم أن الأقسام العشرة التى ذكرتها فى صدر الكتاب هى قسم البدايات ثم قسم الأبواب ثم قسم المعاملات ثم قسم الأخلاق ثم قسم الأصول ثم قسم الأدوية ثم قسم الأحوال ثم قسم الولايات ثم قسم الحقائق ثم قسم النهايات - وقد ذكر رضى الله عنه أبواب كل قسم من هذه الأقسام العشرة وشرحها وأكتفى هنا بذكر الأبواب المجتمعة فى كل قسم وهى :

قسم البدايات : عشرة أبواب وهى اليقظة والتوبة والمحاسبة والإنابة والفكر والذكر والاعتصام والفرار والرياضة والسماع .

وأما قسم الأبواب : فهو عشرة أبواب وهى الحزن والخوف والإشفاق والخشوع والإخبات والزهد والورع والتبتل والرجاء والرغبة .

وأما قسم المعاملات : فهى عشرة أبواب وهى الرعاية والمراقبة والحرمة والإخلاص والتهذيب والإستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم.

وأما قسم الأخلاق : فهى عشرة أبواب وهو الصبر والرضا

والشكر والحياء والصدق والإيثار والخلق والتواضع والفتوة والانبساط .

وأما قسم الأصول : فهى عشرة أبواب وهى القصد والعزم والإرادة والأدب واليقين والأنس والذكر والفقر والغنى ومقام المراد .

وأما قسم الأدوية : فهى عشرة أبواب وهى الإحسان والعلم والحكمة والبصيرة والفراسة والتعظيم والإلهام والسكينة والطمأنينة والهمة .

وأما قسم الأحوال : فهو عشرة أبواب وهى المحبة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش و الهيمان والبرق والذوق .

وأما قسم الولايات : فهى عشرة أبواب وهى اللحظ والوقت والصفاء والسرور والسر والنفَس والغربة والغرق والغيبة والتمكن .

وأما قسم الحقائق : فهو عشرة أبواب وهى المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياة والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال .

أما قسم النهايات : فهو عشرة أبواب وهى المعرفة والفناء والبقاء والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد .

انتهى هذا الإجمال وبالكتاب التفصيل الوافى الشافى وهذا الكتاب لا يتسع لذلك فاطلب الأصل تستفد علما وخيرا كثيرا - ومما ذكر من أول هذا الوصل تفهم أن طريق القوم اجتهادية لا تقليدية غالبا إذ الأذواق لا تؤخذ من الأوراق والرجال خزائن العلوم ومحالّ الفهوم وإنما جاء هذا التعدد

فى سرد قواعد الصوفية وأصولهم ومقاماتهم ولوازم طريقهم وآدابه لاختلاف الاستعدادات القابله والهمم الفاعلة واختلاف العصور وتنوع البيئات وميادين التربية والملابسات المحيطة بها - وتفهم أيضا من أحوال الصوفية وسيرهم الفعلى أن المقامات المذكورة فى هذا الوصل ليس مرتبا بعضها على البعض أو أنها محددة الوقت والكيف والثمرة ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ولله طرائق بعدد أنفاس الخلائق والكمالات لا تتناهى بالنسبة للمفيض المعطى جل شأنه والتوفيق للسير والسلوك بيده إلا أن الأمر الجامع الذى يشمل جميع المتدينين هو طلب المولى جل شأنه والقيام بالعبودية ورسومها بقدر الأستطاعة والتوفيق والله الهادى .

وصل - التعريف ببعض اصطلاحاتهم

أسوق فى هذا الوصل تعريفات مختصرة لبعض الاصطلاحات المتداولة فى طريقهم وخصوصاً ما مر ذكره فى هذا الكتاب ليزداد المطلع عليه فهما لطريقهم ووقوفا على حقيقة حالهم فأقول :

الطريق : فى اصطلاح القوم عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التى لا رخصة فيها فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة فى الطريق .

الوقفة : حبس بين المقامين .

الفترة : خمود نار البداية المحرقة .

السالك : هو الذى مشى على المقامات بحاله لا يعلمه فكان العلم له عينا .

السفر : عبارة عن القلب إذا أخذ فى التوجه إلى الحق بالذكر .

المريد : هو المتجرد عن إرادته المنقطع الى الله عن نظر واستبصار.

المراد : هو المجذوب عن إرادته أى المحبوب .

المرشد : هو الذى يدل على الطريق الموصل إلى الله .

النفوس السبعة : الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة - وزيادة الشرح فى كتبهم .

المقام : عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام .

الحال : هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب .

التجلى : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وأنواعه موضحة بكتبهم.

التجريد : إماطة السوى والكون عن القلب والسر .

التفريد : وقوفك بالحق معك .

الرياضة : هى عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية .

المجاهدة : حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل

حال .

الأدب : أدب الشريعة هو الوقوف عند رسومها . وأدب الخدمة هو الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها . وأدب الحق هو أن تعرف مالك وماله .

الفرار : هو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل .

السماع : هو الانتباه . ودرجاته مفصلة بكتاب منازل السائرين .

الزهد : إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية .

الورع : هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات .

الفتوة : أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقاً . وقد حققها سيدي محيي الدين بن العربي في فتوحاته المكيّة بمعان عالية أخرى .

البسط : حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقبل هو حال الرجاء .

القبض : حال الخوف في الوقت .

الهيبة : هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب .

الأنس : أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب .

التواجد : أستدعاء الوجد .

الوجد : ما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده .

الوجود : وجدان الحق في الوجد .

الجلال : نعوت القهر من الحضرة الإلهية .

الجمال : نعوت اللطف والرحمة .

الفناء : عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك .

البقاء : رؤية العبد قيام الله على كل شىء .

الغيبة : غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه .

الحضور : حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق .

السكر : غيبة بوارد قوى .

الصحو : رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوى .

الذوق : هو فى معرفة الله عبارة عن نور عرفانى يقذفه الحق بتجليه فى قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره . وقيل هو أول مبادىء التجليات الإلهيه..

الشرب : أوسط التجليات الإلهية .

الفرق : ما يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية .

الجمع : ما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإبتداء لطف وإحسان .

وقيل هو شهود الأشياء بالله والتبرى من الحول والقوة إلا بالله.

جمع الجمع : الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله .

المحو : رفع أوصاف العادة .

المحق : فناء وجود العبد فى ذات الحق .

الإلهام : ما يلقى فى الروع بطريق الفيض .

التلوين : تنقل العبد فى أحواله .

التمكين : هو التمكين فى التلوين وقيل حال أهل الوصول .

الفتوح : فتوح العبارة فى الظاهر وفتوح الحلاوة فى الباطن وفتوح المكاشفة .

الملك : عالم الشهادة .

الملكوت : عالم الغيب .

الأعيان الثابتة : هى حقائق الممكنات فى علم الحق تعالى .

الجبروت: عند أبى طالب المكى هو عالم الأسماء والصفات الإلهية .
وعند الأكثرين هو العالم الأوسط بين الملك والملكوت .

البرزخ : العالم المشهود بين عالم المعانى والأجسام .

البصيرة : قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها .

التعين : ما به امتياز الشىء عن غيره .

الحرية : الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار .

الخاطر : ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذى لا عمل للعبد فيه وأقسام الخواطر مبينة بكتبهم .

الرقيقة : هى اللطيفة الروحانية وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين .

السر : لطيفة مودعة فى القلب كالروح فى البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة .

الكشف : حسى ومعنوى فالحسى رؤية المغيبات التى لا سبيل لرؤيتها بالبصر بل بالبصيرة . والمعنوى كشف حقائق العلوم والأسرار وهو مطلوب القوم . والكشف الحسى تابع لا أصل فى طريق القوم بل قد يكون قاطعا عنه إذا طُلب وُوقف معه .

ويكفى هذا القدر من التعريف ببعض اصطلاحاتهم إذ فى استيعابها هنا تطويل والمراد الاختصار . ولا يتسنى الاستيعاب الكامل لهذه العلوم إلا بالدخول فى طريقهم أو الاطلاع الواسع على كتبهم ومن أهمها فى التعريف باصطلاحاتهم كتاب التعريفات للسيد الجرجانى وبآخره رسالة خاصة فى اصطلاحات الصوفية لسيدى محيى الدين بن العربى ، وكذلك كتاب منازل السائرين للهروى وشرح تائية السلوك للشرنوبى

الفصل الرابع
فى مختارات من علومهم

سأضع فى هذا الفصل بتوفيق الله أقوالا منثورة ومنظومة فى فنون مختلفة من علومهم وأسرارهم ولا أحاول بذلك الإحاطة والاستيعاب لوسع دائرتهم فى العلوم بل على سبيل الإفادة وإحقاق الحق والتبرك .

وصل - الأقوال المنثورة
١- فى التوحيد

سئل الجنيد رضى الله عنه عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل . وقال أيضا : التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحابّ وترك ما علم وجهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع .

وقد عرّف التوحيد الإمام الهروى رضى الله عنه فى كتابه منازل السائرين بقوله: التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد . والتوحيد على ثلاثة أوجه الوجه الأول توحيد العامة وهو الذى يصح بالشواهد . والوجه الثانى توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق . والوجه

الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة . وأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر وصحت به الملة من العامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب هذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد والشواهد هى الرسالة - ثم قال فى التوحيد الثانى الذى يثبت بالحقائق : فهو توحيد الخاصة وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد وهو أن لا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا فى النجاة وسيلة فيكون مشاهدا سبق الحق تعالى بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحايينها وإخفائه إياها فى رسومها ويحقق معرفة العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصة الذى يصح بعلم الفناء ويصفو فى علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع . وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق تعالى لنفسه وأستحقه لقدره وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه . واستطرد فى بيان هذا النوع الثالث من التوحيد بما يتيسر فهمه على أهل

طريق وأدع ذكره هنا أختصارا وإشفاقا على من لم يتضلع من علوم القوم لم يسلك طريقهم بالفعل على أنى أتخوف على المطلع على التوحيد الثانى هو توحيد الخاصة المذكور هنا أن يفهم منه إبطال الأسباب أو الأكوان أو الدلائل أو الارتباطات عند أرباب هذا التوحيد فأقول إن ما فى دوائر الشهود خاص بأهله وفى شهودهم فقط لا فى نفس الواقع المرتب بترتيب السنة الإلهيه المثبتة لكل العوالم المخلوقة والأسباب والعلل الموضوعة . والله المرشد . ولبعضهم : من عرف الحقيقة فى التوحيد سقط عنه لم وكيف وفى التعريفات للجرجانى : التوحيد فى اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور فى الأفهام ويتخيل فى الأوهام والأذهان وقال أيضا : التوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية ونفى الأنداد عنه جملة ..

وللشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن العربى فى تعريف التوحيد : اعلم أن التوحيد التعمل فى حصول العلم فى نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذى أوجده واحد لا شريك له فى ألوهيته والوحدة صفة الحق والإسم منه الأحد والواحد وأما الوحدانية فقيام الوحدة بالواحد من حيث أنها لا تعقل إلا بقيامها بالواحد وإن كانت نسبة وهى نسبة تنزيه - وله رضى الله عنه أقوال أخرى أسوق بعضها وهى بالباب الثانى والسبعين ومائة فى معرفة مقام

التوحيد بكتابه الفتوحات المكية : بعد أن سرد رضى الله عنه الأدلة التفصيلية المثبتة لوحدة الألوهية قال رضى الله عنه وأما أحدية الذات فى نفسها فلا تعرف لها ما هية حتى يحكم عليها لأنها لا تشبة شيئا من العالم ولا يشبهها شىء فلا يتعرض العاقل إلى الكلام فى ذاته إلا بخبر من عنده ومع إتيان الخبر فإنا نجهل نسبة ذلك الحكم إليه لجهلنا به بل نؤمن به على ما قاله وعلى ما يعلمه - وقال بعد ذلك : الواحد لنفسه لا يكون واحدا بإثباتك إياه واحدا فما أنت أثبته بل هو ثابت لنفسه وأنت علمت أنه واحد . ثم قال:

فالتوحيد على الحقيقة مناله سكوت خاص ظاهرا وباطنا .

وأكتفى بمنثورات مختصرة لبعض الرجال أذكرها فيما يلى لئلا يطول الكتاب فإن أقوالهم فى كل باب من أبواب العلوم والأسرار تحتاج مؤلفات خاصة تجمعها وتشرحها ولعل الله يوفق لذلك من يريد من المحبين لطريق القوم فتتم الفائدة .

وهذه المنثورات التى سأذكرها هنا هى من باب التوحيد برسالة القشيرى رضى الله عنه وسأكتفى بإيرادها دون ذكر أسماء أصحابها للأختصار وهاهى:

من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على مر الأوقات الا عطشا - ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد - أول مقام لمن وجد علم التوحيد

وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل - التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام - ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون فى العقبى ظاهرا فى ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وصل - فى المنظوم فى التوحيد
لسيدى محيى الدين بن العربى

أحـــدما مثلـــه أحـــــد ∴ بجمـــال النعـــت منفـــــرد

مصـــــدر الأكـــوان حضرتـــه ∴ وهـــو لا شـــفع ولا عـــــدد

الـــذى قـــام الوجـــود بـــه ∴ أمـــرنا عليـــه ينعقــــد

وأنـــا العبـــد الفقيـــر بـــه ∴ وهـــو المحســـان والصمـــد

غيره لأحدهم

ولا تلتفت فى السير غيرا فكل ما ∴ سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنـــا

وكل مقـــام لا تقم فيه إنــــــه ∴ حجاب فجد السير واستنجد العونا

ومهما ترى كل المراتب تجتلى ∴ عليك فحل عنها فعن مثلها حلنـــا

وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب ∴ فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنـــى

غيره لأحدهم

إن الوجود الحق عنك ممنع ∴ فى عزة وترفع وعـــــــــــلاء

وجميع ما أدركته هو حادث ∴ فان وأنت كذاك رهن فنــــــاء

لكنه بك قد تجلى ظاهرا ∴ وبسائر الأشياء باستقصـــــاء

لسيدى عبدالغنى النابلسى رضى الله عنه

وصية ونصيحة لمن قال له رأيتك فى المنام تقول لى نحن أهل الصفا. قال رضى الله عنه:

ونحن أهل الصفا لا نقبل الكدرا ∴ أقبلْ علينا صفيا واسمع الخبـــرا

وكن بأوصافنا فى القرب متصــفا ∴ تنل مرادك منا كيف منك جـــرى

واستعمل الصبر فيما كنت تطلبه ∴ فإنما يبلغ الآمال من صبـــــــرا

واقصد إلهك لا تقصد سواه تفـــز ∴ ويذهب الله عنك السوء والضررا

إياك إياك لا تشرك به أحـــــدا ∴ مما سمعت وما عيناك فيه تـــرى

فإنه واحـــد فـــرد تنزه عــــن ∴ كل الحوادث بل لا يشبه الصورا

فى التوحيد أيضا

وهذه قصيدة كبيره لسيدى عبدالغنى النابلسى أيضاً يرد بها على الزنادقة ويدفع بها ما ينسب إلى الصوفية من القول بالحلول والاتحاد . قال رضى الله عنه :

إن قولى مؤيـــد بالنقـــــول ∴ وبما تقتضيه كل العقـــــول
عند من يعرف اصطلاحى ويدرى ∴ شرح حالى بقصدى المقبـــول
لســت ممن يقول عن كل شـــىء ∴ أنه الله قول كل جهـــــول
قصـــده يدرأ التكاليف عنــــه ∴ مستبيحا أحكام شرع الرسـول
إننى منه كل حـين بــــــرىء ∴ بل أنا العبد طالب للقبـــول
وإذا قلت ذاك كان مـــــرادى ∴ صانع الشىء فاعل المفعــول
حيث لا شىء جامد هو عندى ∴ بل كبرق يلوح بين الطـــلول
والذى عنه ذلك الشىء يبـدو ∴ هو رب الفروع رب الأصــول
مثل قول الخليل وقت التجلى ∴ إن هذا ربى بصـدق المقـــول
وهو نجم بدا وبدر وشمـــس ∴ ثم كان امتيازه بالأفـــــول
أخذ الجاهلون أقوال مثلـــى ∴ ثم قالوا بها على المجهـــول
لم يذوقوا منها الذى نحن ذقنا ∴ لا ولم يعرفوا حقيق النـــزول

إنما قلدوا بحفظ كـــــلام ∴ وادعـاء له بغير حصـــــول
وقصاراهم التخيل فهمـــا ∴ وهو فيهم من غاية المأمـــول
هم عوام لا يعلمون وهــذا ∴ هو سرأعيا جميع الفحـــول
حاولته الفحول أن يدركوه ∴ فأبى من حجابه المســـدول
فأزالوا نفوسهم وأتـــوه ∴ بافتقارونائل مبـــذول
وسعوا نحوه به وأقامـــوا ∴ حكمه تاركين قول العـــذول
فتجلى لهم فأفنى هـــواهم ∴ ثم أفنى منهم شخوص النحول
طحنتهم منه الرحى حين دارت ∴ ثم جاءت بهم مجيء السـيول
وعليهم تكرر الأمر حـــتى ∴ وقعوا فى اللقا وأمر مهـول
فهم الفعل منه فى كل حـــال ∴ وهم الغائبون غيبة غـــول
لهم الاسم فيه من دون رسـم ∴ عن عيان محقق ووصـــول
وعليهم شواهد الصدق لاحت ∴ ليس تخفى إلا على المخـذول
هذه أعين إليه صـــحاح ∴ أنفت من نواظر عنه حـــول
أين منها مقال أهل الحـــاد ∴ بدعاوى الفنا وأهل حلـــول
اعقل الأمر تارك الشرع أعمى ∴ عن طريق الهدى وتحصيل سول
فهو إن كان مؤمنا فاســـق أو ∴ جاحدا فهو كافر ذو فضـــول
كيف يرقى ما لم يتب من خطاه ∴ محكما فتل حبله المحـــلول

ذاك هيهات لا يكون وإن قد ∴ كان وقع النصول فوق النصول

أين فهم الشمول والشرب منها ∴ بافتكار وأين ذوق الشمـــول

وله رضى الله عنه فى تحرير وحدة الوجود

إنما وحدة الوجود لدينــــــا ∴ وحدة الحق فافهموا ما نقــول

وحدة الله وحدة لا سواهــــا ∴ شهدتها منا الكبار الفحـــول

وسواء قلنا الوجود أو الـــ ∴ حق فلا فرق عندنا يا جهـــول

لا تظن الوجود حيث ذكرنـا ∴ هو الخلق عندنا المبـــذول

هو حق بعد الفنا عن ســـواه ∴ يتجلى فتضمحل العقـــول

ولهذا كان الفنا هو شرطــــا ∴ عندنا للمريد فيه حلـــول

وهو طهر الأرواح من نجس قد ∴ حل فيها من الكثيف يجـــول

لطخ الروح حين خالطهـــا إذ ∴ جهلته وغاب عنها القبـــول

واعتراها أيضا هنا حدث من ∴ كل معنى به الحجى مشغـــول

فالنجاسات مانعات المصلـــى ∴ وكذاك الأحداث حين تحـــول

بين ربى وبينه فارفعوهـــــا ∴ بعلوم السما يكون الوصـــول

يقول الفقير جامع الكتاب إن هذه القصيدة خير تحرير وتوضيح لما ينسب للسادة الصوفية من القول بوحدة الوجود وفهم غير مرادهم من ذلك .

ومن قصيدة أخرى لسيدى عبدالغنى النابلسى رضى الله عنه

إن توحيد كل عقل إذا لم ∴ يك بالشرع لا يكون وجيهـــــا
مثل إبلييس وحد الله عقلا ∴ تاركا أمر ربه تشويهـــــا
ليس توحيده الاله بمقبـــو ∴ ل ولو كان فيه حبرا فقيهـــــا
حيث عن أمر ربه حاد فسقا ∴ وعلى ما نهاه كان شريهـــــا
فهو زنديق كل شرع فحاذر ∴ صفة فيه لم يزل يقتضيهـــــا
قائلا إننى لغيرك لا أسجـــد ∴ طعنا فى الأمر عجبا وتيهـــــا
مثل ما قالت الزنادقة الشـــر ∴ ع لمن كان غافلا تمويهـــــا
يدعون التوحيد توحيـــد إبليـ ∴ ـــس يرون الأحكام شيئا كريهـا
فعليهم طول المدى وعليـــه ∴ لعنة الله إن ونت قيل إيهـــــا

ويكفى هذا المقدار من المنظوم والمريد للزيادة يجدها فى كتبهم رضى الله عنهم .

٢- أقوالهم في أسماء وصفات الحق جل جلاله من المنثور

للجنيد رضى الله عنه : إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعتة فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

وللحسين بن منصور رضى الله عنه : ألزم الكل الحدث لأن القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى إليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه مكيف إنه سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم ينفه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس . وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج . باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم . إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده إلى أن قال

هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

ومن عقائدهم ما أورده الإمام القشيرى فى رسالته أنه الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حى أحد باق صمد وأنه عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام حى بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات له أزلية ونعوت سرمدية وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان ولا يخصه هيئة وقَدّ ولا يقطعه نهاية وحَدّ ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال استوفى الأجل

والزمان ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بامارة عن أشكاله يرى لا عن مقابلة ويرى غيره لا عن مماثلة ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا وهكذا يسرد بقية عقائدهم رضى الله عنهم فارجع إليها بالرسالة . ولسيدى محيى الدين بن عربى الكثير من تحقيقات للأسماء والصفات أودعها مؤلفاته الواسعة رضى الله عنه . وأنقل هنا اليسير جدا مراعاة للأختصار . قال رضى الله عنه فى كتاب القصد .

لا يجوز لنا أن نسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه ومالا فلا - وقد عقد رضى الله عنه بابا خاصا هو الباب الثامن والخمسون وخمسمائة من كتاب الفتوحات المكية فى معرفة الأسماء الحسنى التى لرب العزة وما يجوز أن يطلق عليه منها لفظا وما لا يجوز . وأفرد لكل أسم تحقيقا خاصا وسأكتفى بما تيسر من المنظوم فى هذه التحقيقات وأودعه هذا القسم الخاص بالأقوال .

وصل - المنظوم فى الأسماء والصفات

للشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه

فى الحضرة الإلهية

الله الله الــــذى حكمـــــت ∴ آياته أنه فى كونه اللـــــــه

سبحانه جل أن يحظى به أحـــد ∴ من العباد فلا إله إلا هـــــو

اختص باسم فلم يشركه من أحد ∴ فيه وذلك قول القائل اللـــــه

فى حضرة السمع

أَسْمِعْ الحقَّ يا أخيَّ نداكا ∴ إنهسامع عليم بذاكـــــــا

لو جفوت الجناب يوما بأمر ∴ لم تجده يوما له قد جفـــــاك

فى حضرة الحكمة

إن الحكيم الذى ميزانه أبدا ∴ بالرفع والخفض منعوت وموصوف

يرتب الأمر ترتيبا يريك بــه ∴ علما وفيه إذا فكرت تعريـــــف

بأنه الله فرد لا شريـــــك له ∴ فى ملكه وله فى الخلق تصريـــف

ميزانه الحق لا خسران يلحقه ∴ ولا يقوم به فى الوزن تطفيـــــف

فى حضرة الحضرات الجامعة للأسماء الحسنى

فإنه الرب ونحن العبيد ∴ فنبتغى بالشكر منه المزيـــــد

لكوننا بالفقر فى فاقــة ∴ أولها حال حصول الوجـــــود

وبعد ذا استمراره دائما ∴ إلى مقامات الفنا فى الشهـــود
لأنه سبحانه فاعـــل ∴ يفعل فى أعياننا ما يريـــد

وليكن هذا آخر المنقولات فى قسم الأسماء والصفات . واستيعاب الكثير من أقوالهم رضى الله عنهم لايتيسر إلا بالانخراط فى سلكهم والعكوف على مشاربهم سواء منها المدون فى كتبهم أو المفاض على الأحياء منهم جعلنا الله منهم آمين .

٣- أقوالهم فى المعرفة من المنثور

لسيدى محيى الدين بن عربى باب خاص هو الباب السابع والسبعون ومائة من كتابه الفتوحات المكية فى معرفة مقام المعرفة أودعه كثيرا من العلوم والأسرار أسوق بعضها هنا لمراعاة الاختصار :

قال رضى الله عنه : والمعرفة عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبه بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكرى لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه والحيرة فيه والقدح فى الأمر الموصل إليه واعلم أنه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته وكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد فيما أعطاه وما فى الوجود من عَلِمَ الأشياءَ بذاته إلا واحد وكل ما

سوى ذلك الواحد فعلمه بالأشياء وغير الأشياء تقليد وإذا ثبت أنه لايصح فيما سوى الله العلم بشىء إلا عن تقليد فلنقلد الله ولا سيما فى العلم به .
وإنما قلنا لا يصح العلم بأمر ما فيما سوى الله إلا بالتقليد فإن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بقوة ما من قواه التى أعطاه الله وهى الحواس والعقل فالإنسان لابد أن يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الأمر على ما هو عليه فى نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالأمور بالأتفاق فما ثم إلا تقليد - وإذا كان الأمر على ما قلناه فينبغى للعاقل إذا أراد أن يعرف الله فليقلده فيما أخبر به عن نفسه فى كتبه وعلى ألسنة رسله وإذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله ويعرف الله بالله . الى أخر ما قال فى هذا التحقيق والتوجيه لتحصيل المعرفة الكاملة التى هى حلية الأولياء وشعار الأصفياء .

وبعد ذلك قسم العلوم التى تشملها المعرفة سبعة أقسام حقق كل قسم منها على حدته - وساق بعد ذلك تعاريف لأهل الله فى صفات العارف آخذ منها هنا الضرورى للاختصار وهو :

العارف عند الجماعة من أشعر الهيبة نفسه والسكينة وعَدِم العلاقة

الصارفة عنه وأن يجعل أول المعرفة لله وآخرها مالا يتناهى - فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلى غيره فهو يعيش بربه لا بقلبه - يأخذ أعماله عن الله ويرجع فيها إلى الله بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف على شيء إذ لا يرى غير الله -طيار- تبكى عينه ويضحك قلبه فهو كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقى ما يحب ومالا يحب - حاله فوق ما يقول - مستهلك فى بحار التحقيق - يسع الأشياء ولا تسعه - مشاهد قيام الله فى كل شيء - ثابت المواصلة - طائع بذاته قابل أمر ربه - صاحب دليل وكشف وشهود - مريد لكل ما يراد منه - ذو عناية إلهيه تجذبه - سالك فى سكون - مقيم فى سفره - يجد ما لا تسعه العبارة من دقائق الفهم عن الله من غير سبب -مهذب الأخلاق - غير قائل بالاتحاد - مقدس الروح عن رعونات النفوس .

قال رضى الله عنه فهذه بعض إشارات الطائفة فى حقيقة العارف والمعرفة جئنا بها لنعلم مقاصدهم فى ذلك حتى لا يقول أحد عنا أنا قد انفردنا بطريق لم يسلكوا عليها بل الطريق واحدة وإن كان لكل شخص طريق تخصه فإن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق يعنى أن كل نَفَس طريق إلى الله وهو صحيح فعلى قدر ما يفوتك من العلم بالأنفاس ومراعاتها يفوتك من العلم بالطرق وبقدر ما يفوتك من العلم بالطرق يفوتك من غاياتها

وغاية كل طريق هو الله فإنه إليه يرجع الأمر كله - وأما صفة العارف عنده رضى الله عنه من الموطن الإلهى الذى يشهده العارفون من الحق فى وجودهم وهو شهود عزيز .

فسأنقل منها ما يمكن فهمه ويسهل تذوقه وأترك الباقى معتذرا . قال رضى الله عنه : وذلك أن يكون العارف إذا حصلت له المعرفة قائما بالحق فى جمعيته - نافذ الهمة - لا يُعرف فيحد ولا يفارق العادة فيميز - خامل الذكر مستور الحال - عام الشفقة على عباد الله - شديد فى لين - إذا قال بسم الله كان عن قوله ذلك كل ما قصده بهمته . لا يقول كن أدبا مع الله - يعطى المواطن حقها - لا يفرط ولا يفرط - له عنف على شهوته إذا لم ير وجه الحق فى طبيعتها - يفتح مغاليق الأمور المشكلة بالنور المبين - الأمور كلها عنده ذوقية لا خبرية - جامع علوم الشرع من عين الجمع - مستغن عن تعليم المخلوقين بتعليم الحق . انتهى ما يسر الله جمعه هنا من صفات العارف . وأتلوه بعون الله بأقوال خالصة فى المعرفة تعتبر ثمرات ونتائج للتحقق بالمعرفة .

وصل - معارف ذوقية متعددة المشارب

سأحاول فى هذا الوصل بتوفيق الله إيراد بعض منثورات القوم فى المعرفة

الخاصة بمولاهم وبالأكوان على أن يكون ذلك من فتوحات الرجال فى العصور المختلفة وفى النواحى المختلفة لعلوم الأسرار والتحقيق والله الموفق والمعين .

لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أكيس الكيس التقوى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة . ولسيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه ومن يتق الله لم يضيع ما يريد . وله رضى الله عنه : كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم - ومما نسب لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه : لو أنى بين الجنة والنار ولا أدرى الى أيتهما يؤمر بى لأخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير - ولسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه : التوحيد ألا تتوهمه والعدل ألا تتهمه . وله رضى الله عنه ما أسوقه متتابعا :-

الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة - الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها - من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته - إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها واشتغلوا باجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا وذكرهم لها فوتا .

أعداء ما سالم الناسُ وسلم ما عادى الناسُ بهم عُلم الكتاب وبه علموا . وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخُوفاً فوق ما يخافون .

ولسيدنا الإمام الحسين رضى الله عنه : اعلموا أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما . ولسيدنا الحسن البصرى رضى الله عنه : أدركنا أقواما كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم - الفقيه الزاهد فى الدنيا البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه عز وجل - كل من اتبع طاعة الله لزمتك مودته ومن أحب رجلا صالحا فكأنما أحب الله .

ولسيدنا على زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين رضى الله عنه : عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرا لله لا خوفا ولا رغبة ولسيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه : ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس فأفلح ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العالم أفلح - ليس العلم ما حفظ العلم مانفع .

ولسيدنا الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه : بلغنى أنه ليس فى الدنيا أعز من فقيه ورع .

ولسيدنا الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : طوبى لمن أخمل الله

تعالى ذكره .

ولسيدنا الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يضعه الله تعالى فى القلب - وقيل له ما تقول فى طلب العلم فقال حسن جميل ولكن أنظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تمس فالزمه .

ولسيدنا الفضيل بن عياض : لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له إلى خلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم ينبغى أن تكون حوائج الخلق كلهم اليه - لم يتزين الناس بشىء أفضل من الصدق وطلب الحلال - طوبى لمن استوحش من الناس وأنس بربه وبكى على خطيئته .

ولسيدنا ذى النون المصرى رضى الله عنه : من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه - أدنى منازل الأنس أن يُلقى فى النار فلا يغيب همه عن مأموله -مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الهوى متابعة الشهوات وعلامة التوكل انقطاع المطامع - العارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب .

- يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة وأهل المعرفة بالصمت .

- إن العارف لا يلزم حالة واحدة إنما يلزم ربه فى الحالات كلها .

ولسيدنا إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه : من عرف ما يطلب هان عليه ما

يبذل ومن أطلق بصره طال أسفه ومن أطلق أمله ساء عمله ومن أطلق لسانه قتل نفسه .

- وقال رضى الله عنه لرجل فى الطواف :اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :

أولاها : أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة .

والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل .

والثالثه : أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجُهد ..

والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر .

والخامسة : أن تغلق بابا الغنى وتفتح باب الفقر .

والسادسة : أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الأستعداد للموت .

ولسيدنا بشر الحافى رضى الله عنه : المتقلب فى جوعه كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله وثوابه الجنة - إن لم تطع فلا تعص - حبك لمعرفة الناس رأس محبة الدنيا - بحسبك أن قوما موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم - الحلال لا يحتمل السَّرَف.

ولسيدنا سرى السقطى رضى الله عنه : كل الدنيا فضول إلا خمسُ خصال : خبز يشبعه وماء يُرويه وثوب يستره وبيت يكنه وعلم يستعمله - أربع من أخلاق الأبدال استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق

رالنصيحة لهم - اللهم ما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب - الأدب ترجمان العقل - لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ولسيدنا الحارث المحاسبى رضى الله عنه : لكل شىء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر - أكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته .

ولسيدنا أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : تعبدتُ ليلة فى محرابى فمددت رجلى فهتف بى هاتف « من يجالس الملوك ينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب » وسئل رضى الله عنه عن درجة العارف فقال ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه .

- وقال رضى الله عنه : العابد يعبده بالحال والعارف الواصل يعبده فى الحال - وسئل رضى الله عنه : بماذا يستعان على العبادة فقال بالله إن كنت تعرفه .

- وقال رضى الله عنه : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه وإنى لا أريد من الله إلا الله - وقال رضى الله عنه : طوبى لمن كان همه هما واحدا ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه .

ولسيدنا معروف الكرخى رضى الله عنه : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل - وسئل رضى الله عنه : ما علامة الأولياء فقال : ثلاثة : همومهم لله وشغلهم فيه وفرارهم إليه .

ولسيدنا أحمد بن خضرويه رضى الله عنه : حقيقة المعرفة المحبة له بالقلب والذكر له باللسان وقطع الهمة عن كل شيء سواه - وقال له رجل أوصنى فقال : أمت نفسك حتى يحييها - وسئل أى الأعمال أفضل قال : رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى .

ولسيدنا يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه : ليس من تاه فيه كمن تاه بعجائب ما ورد عليه منه -- الفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق - لا تُرح على نفسك بشيء أجلّ من أن تَشغَلها فى كل وقت بما هو أولى بها .

ولسيدنا أبى حفص النيسابورى رضى الله عنه : حرست قلبى عشرين سنة ثم حرسنى قلبى عشرين سنة ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعا - مَن تجرع كأس الشوق يهيم هياما لا يضيق إلا عند المشاهدة واللقاء - التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من

حيث يرجو القبول - ما استحق اسم السخاء مَنْ ذكر العطاء أو لمحه بقلبه - ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح - وسئل رضى الله عنه : من الولى : فقال من أيد بالكرامات وغيب عنها - وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء فقال : حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الإخوان والنصيحة للأصاغر وترك الخصومات فى الأرزاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم والمعاونة فى أمور الدين والدنيا .

ولسيدنا أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه : الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار - لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته أكثر مما ناله - قد مَشَى رجال باليقين على الماء ومن مات على العطش أفضل منهم يقينا .ولسيدنا رويم بن أحمد البغدادى رضى الله عنه : قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم فى شىء مما يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه .

ولسيدنا يوسف بن الحسين الرازى : أصل العقل الصمت وباطن العقل كتمان السر وظاهر العقل الاقتداء بالسنة - بالأدب تفهم العلم وبالعلم يصح

لك العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة تفهم الزهد وتوفق له وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا ترغب فى الآخرة وبالرغبة فى الآخرة تنال رضا الله - فى الدنيا طغيانان طغيان العلم وطغيان المال فالذى ينجيك من طغيان العلم العبادة والذى ينجيك من طغيان المال الزهد فيه .

ولسيدنا سهل بن عبدالله التسترى رضى اله عنه : ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه ودنياه وآخرته - أدنى الأدب أن تقف عند الجهل وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة - الذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره - من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ولا يغتابون ولا يُغتَاب عندهم ولا يشبعون بطونهم وإذا وعدوا لم يخلفوا ولا يتكلمون إلا والاستثناء فى كلامهم ولا يمزحون أصلا - أعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجُهد لفساد ما عليه أهل الزمان - الفتن ثلاثة : فتنة العامة من إضاعة العلم وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق فى وقت فيؤخروه إلى وقت ثان - أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال وكف الأذى وأجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق - لقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث خلال : ملازمة التوبة

ومتابعة السنة وترك أذى الخلق - لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر .

ولسيدنا محمد بن الفضل البلخي رضى الله عنه : أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة فى أوامره وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ - الدنيا بطنك فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا - العجب ممن يقطع الأودية والقفار والمغاوز حتى يصل إلى بيته وحرمه لأن فيه آثار أنبيائه كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه - العلوم ثلاثة : علم بالله وعلم من الله وعلم مع الله . فالعلم بالله معرفة صفاته ونعوته والعلم من الله علم الظاهر والباطن والحلال والحرام والأمر والنهى فى الأحكام . والعلم مع الله علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق - العارف يدافع عيشه يوما بيوم ويأخذ من عيشه يوما ليوم - إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا فذاك من علامات إدباره - من أستوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله .

ولسيدنا محمد بن على الترمذى رضى الله عنه : من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل - ضمن الله تعالى للعباد الرزق وفرض عليهم التوكل - حقيقة محبة الله دوام الأنس بذكره .

ولسيدنا أبى بكر الوراق رضى الله عنه : الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف - من صحت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية - الحكماء

خلف الأنبياء وليس بعد النبوة إلا الحكمة وهى إحكام الأمور وأول علامات الحكمة طول الصمت والكلام على قدر الحاجة - العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله مراده لا غيره ويؤثر الله على كل ما سواه .

ولسيدنا أبى سعيد الخراز رضى الله عنه : كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل .

ولسيدنا أبى عبدالله المغربى رضى الله عنه : من ادعى العبودية وله مراد باق فيه فهو كاذب فى دعواه إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراد سيده يكون اسمه ما سمى به ونعته ما حُلى به إذا سُمى باسم أجاب عن العبودية فلا اسم له ولا وسم لا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده - ما فطنت إلا هذه الطائفه واحترقت بما فطنت .

ولسيدنا أبى على الجوز جانى رضى الله عنه: من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه وموافقته للسنة فى أفعاله وصحبته لأهل الصلاح وحسن خُلقه مع الإخوان وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين ومراعاته لأوقاته - وسئل رضى الله عنه كيف الطريق إلى الله . فقال : الطرق إليه كثيرة وأصح الطرق وأعمرها وأبعدها عن الشُبَه اتباع السنة قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية لأن الله تعالى يقول ﴿ وإِنْ تُطيعُوه تَهْتَدُوا ﴾ فنسئل

: كيف الطريق إلى اتباع السنة فقال : مجانبة البدع واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ولزوم طريق الاقتداء والأتباع بذلك أمر النبى ﷺ بقوله عز وجل ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا** ﴾ الآية - وسئل عن أبى يزيد البسطامى وهذه الألفاظ التى تحكى عنه فقال : رحم الله أبا يزيد له حاله وما نطق به ولعله تكلم بها على حد الغلبة أو حال سكر .كلامه له ولمن تكلم عليه وليس لمن يحكى عنه . فالزم أنت يا أخى أولا مجاهدة أبى يزيد وتقطعه ومعاملاته ولا ترتق إلى المقام الذى بُلغ به بعد تلك المجاهدات . فإن بُلغ بك إلى شىء من ذلك فاحك إذ ذاك كلامه فليس بعاقل من ضيع الأدنى من المقامات وادعى الأعلى منها .

ولسيدنا أبى عبدالله السجزى رضى الله عنه : أنفع شىء للمريدين صحبة الصالحين والاقتداء بهم فى أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم وزيارة قبور الأولياء والقيام بخدمة الأصحاب والرفقاء - وأجاب عن الفتوة بقوله : رؤية أعذار الخلق وتقصيرك . وتمامهم ونقصانك - والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم - وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عز وجل .

ولسيدنا أبى محمد الجريرى رضى الله عنه : قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان فى خلال ثلاث : الاكتفاء والأتقاء والاحتماء . فمن اكتفى

بالله صلُحت سريرته ومن اتقى ما نهُى عنه استقامت سيرته ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته فثمرة الاكتفاء صفو المعرفه وعاقبة الاتقاء حُسن الخليقة وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة - رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ماعظم الله من الوسائط والفروع .

ولسيدنا أبى العباس بن عطاء رضى الله عنه : من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ فى أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية - السكون إلى الأسباب اغترار والوقوف مع الأحوال يقطع بك عن مُحوّلها .

ولسيدنا أبى عمرو الدمشقى رضى الله عنه : خواص خصال العارفين أربعة أشياء : السياسة والرياضة والحراسة والرعاية . فالسياسة والرياضة ظاهران . والحراسة والرعاية باطنان فبالسياسة يصل العبد إلى التطهير وبالرياضة يصل إلى التحقيق . والسياسة حفظ النفس ومعرفتها والرياضة مخالفة النفس ومعاداتها . والحراسة معاينة بر الله فى الضمائر . والرعاية مراعاة حقوق المولى بالسرائر . وميراث السياسة القيام على وفاء العبودية . وميراث الرياضة الرضا عند الحكم . وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة .وميراث الرعاية المحبة والهيبة . ثم الوفاء متصل بالصفاء . والرضا متصل

بالمحبة . علمه من علمه وجهله من جهله .

ولسيدنا محمد بن حامد الترمذى رضى الله عنه : لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة . وإنما وجدوا ذلك من اتباع السنة ومجانبة البدعة . فإن رسول الله ﷺ كان أعلى الخلق همة وأقربهم زلفة - إنكار ولاية الأولياء فى قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر وبعد علومهم عن موارد القدرة - الولى فى ستر حاله أبدا والكون كله ناطق عن ولايته - والمدعى ناطق به والكون كله ينكر عليه - أقرب القلوب إلى الله قلب رضى بصحبة الفقراء وآثر الباقى على الفانى وشهد سوابق القضاء فأيس من أفعاله - ما عَجزتَ عن شىء فلا تعجز عن رؤية ضعفك - الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله تعالى - من لم تُرضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنة - الطريق واضح والدليل عالم والزاد تام والمركب قوى ولكن منع القوم من الوصول الاستدلال بغير الدليل والركض فى الطريق على حد الشهوة وأخذ الزاد من غير وجهه وإضعاف المركب بقلة تعهده - إذا سلم لك وقت من أوقاتك عن الغفلة فَغَر على ذلك الوقت أن تتبعه بما يخالفه فإن مخالفة الأوقات على المرور من اعوجاج الباطن - رأس مالك قلبك ووقتك . وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بارتكاب مالا يعنيك فمتى يربح من خسر رأس ماله .

ولسيدنا ابراهيم الخواص رضى الله عنه : إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنة وإن كان قليل العلم - العلم كله فى كلمتين : لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت - ليكن لك قلب ساكن وكف فارغة وتذهب النفس حيث شاءت - رأيت شيخا من أهل المعرفة عرّج بعد سبعة عشر يوما على سببٍ فى البرّية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب - دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين .

ولسيدنا أبى حمزة البغدادى رضى الله عنه : من رزق ثلاثة أشياء مع ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات بطن خال مع قلب قانع وفقر دائم مع زهد حاضر وصبر كامل مع ذكر دائم - من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها وهو الذى علمها بتعليم الله إياه ومن علمها بالاستدلال فمرةً يخطىء ومرة يصيب . ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ فى أحواله وأفعاله وأقواله .

ولسيدنا أبى الحسين الوراق النيسابورى رضى الله عنه : حياة القلب فى ذكر الحى الذى لا يموت والعيش الهنى مع الله لا غير - لا يصل العبد إلى الله إلا بالله وبموافقة حبيبه ﷺ فى شرائعه ومن جعل الطريق إلى الوصول

فى غير الأقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد ومن وصل اتصل وما رجع من رجع من الطريق إلا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه بوجد غالب وشوق مزعج فيهون عليه إذ ذاك حمل الأثقال وركوب الأهوال فإذا انقادت له النفس على ذلك وهان عليه ما يلقى فى طلب المحبوب سهل الله عليه أسباب الوصول .

ولسيدنا الحلاج رضى الله عنه : أسماء الله تعالى من حيثُ الإدراك اسم ومن حيثُ الحق حقيقة - إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخاطره وحرس سره أن يسنح فيه خاطر غير الحق - وسئل عن المريد فقال هو الرامى بقصده إلى الله عز وجل فلا يعرج حتى يصل - المريد الخارج عن أسباب الدارين أثرة بذلك على أهلها .

ولسيدنا أبى عبدالله الصبيحى رضى الله عنه : أتم الخوف ما كان على صفة الوجد لا على فقد ما يرجو أو يتمنى - وسئل عن أصول الدين فقال : إثبات صدق الافتقار إلى الله تعالى وحسن الأقتداء برسول الله ﷺ . وفروعه أربعة أشياء : الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود .

ولسيدنا الشبلى رضى الله عنه : من عرف الله لا يكون له غم أبدا - ورآه بعض أصحابه فى المنام فقال له يا أبا بكر : من أسعد أصحابك

بصحبتك فقال أعظمهم لحرمات الله وألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده - وقيل له : نراك جسيما بدينا والمحبة تضنى فأنشأ يقول :

أحب قلبى وما درى بدنى ∴ ولودرى ماأقام فى السمـــــن

ورؤى فى يوم عيد خارجا من المسجد وهو يقول :

إذا ما كنت لى عيدا ∴ فما أصنع بالعيـــــد

جرى حبك فى قلبى ∴ كجرى الماء فى العـــود

وقال رضى الله عنه مرة ما أحوج الناس إلى سَكْرةٍ . فقيل له : أيُّ سَكرة . فقال : سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم وأنشأ يقول :

وتحسبنُى حيًا وإنى لميت ∴ وبعضى من الهجران يبكى على بعــــض

- وقال رضى الله عنه : رفع الله قدر الوسائط بعلوهممهم فلو أجرى على الأولياء ذرة مما كشف للأنبياء لبطلوا وتقطعوا ولسيدنا أبى محمد المرتعش رضى الله عنه : أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة وملازمة الخدمة على السنة تصحيح المعاملات كلها بشيئين وهما الصبر والإخلاص . الصبر عليها والإخلاص فيها .

ولسيدنا أبى على الروذبارى رضى الله عنه : لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقى مُحقّ إلا مات - المشاهدات للقلوب والمكاشفات للأسرار والمعاينات للبصائر والمراعاة للأبصار .

ولسيدنا أبى الحسين بن هند الفارسى رضى الله عنه : المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شىء من أمور دينه ودنياه بل يجرى فى أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة يأخذ الأشياء من معدنها ويضعها فى معدنها - أصل كل خير ملازمة الأدب فى جميع الأحوال والأفعال - القلوب أوعية وظروف وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات . فقلوب الأولياء أوعية المعرفة وقلوب العارفين أوعية المحبة وقلوب المحبين أوعية الشوق وقلوب المشتاقين أوعية الأنس ولكل من هذه الأحوال آداب من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة - اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال فإنه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما .

ولسيدنا ابراهيم بن شيبان القرميسينى رضى الله عنه : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة .

ولسيدنا أبى عبدالله بن سالم البصرى رضى الله عنه : سئل بماذا يعرف

الأولياء فى الخلق فقال : بلطف لسانهم وحسن أخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء أنفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر إليهم وتمام الشفقة على جميع الخلائق برّهم وفاجرهم - العاقل من تبرم بعشْرة المخالفين وزهد فى صحبة أبناء الدنيا فإنهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عما هو فيه - ارفع قدرك عن ملازمة الطباع الدنيئة تدس بين ربّع الكرام وتعش فى محل النعم فإن ألفتها قطعت بك وإن سئمتها بُلغ بك إلى مالا أين ولا حد ولا خبر ولا استخبار إذ ذاك . إن حَصُلْتَ ثَمّ حصلت لك قيمة وكنت إذ ذاك .

ولسيدنا أبى بكر بن أبى سعدان رضى الله عنه : خلقت الأرواح من النور وأسكنت ظلم الهياكل فإذا قوى الروح جانس العقل وتواترت الأنوار وأزالت عن الهياكل ظلمتها فصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل فانقادت ولزمت طريقتها ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب تطالع مجارى الأقدار . فهذه تطالع الجارى من الأقدار وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر وهذا من لطائف الأحوال - الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم والفقير هوالفاقد للأسباب ففقد السبب أوجب له اسم الفقر وَسَهُل له الطريق إلى المسبب . وصفاء الصوفى عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف فصفى عن ممازجة الأكوان كلها بمصافاة من صافاه فى الأزل بالأنوار والمبار - أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروحُ ليتروح به من مساكنه الأغيار

. ثم العلم ليدله على رشده . ثم العقل ليكون مشيرا للعلم إلى درجات المعارف ومشيرا للنفس إلى قبول العلم وصاحبا للروح فى الجولان فى الملكوت .

ولسيدنا أبى سعيد بن الأعرابى رضى الله عنه : المعرفة كلها الاعتراف بالجهل . والتصوف كله ترك الفضول . والزهد كله أخذ ما لابد منه وإسقاط ما بقى والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى من العلم والتوكل كله طرح الكَنَف . والرضا كله ترك الاعتراض والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكل والعافية كلها إسقاط التكلف والصبر كله تلقى البلاء بالرحب . والتفويض كله الطمأنينه عند الموارد . واليقين كله ترك الشكوى عندما يضاد مرادك . والثقة بالله علمك أنه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك - من طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجهد وإجتهاد ومجاهدة . ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة وكان الحق دليله إليه وموصله لا غير .

ولسيدنا أبى العباس السيارى رضى الله عنه : حقيقة المعرفة ألا يخطر بالقلب ما دونه .

ولسيدنا أبى بكر الدقى رضى الله عنه : خلق الله تعالى الخلائق كلهم متحركين يدبون على الأرض وجعل الحياة منهم لأهل المعرفة . فالخلق متحركون فى أسبابهم وأهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم . فلا حياة حقيقة

إلا لأهل المعرفة لا غير .

ولسيدنا عبدالقادر الجيلى رضى الله عنه : يا رب كيف أهدى إليك روحى وقد صح بالبرهان أن الكل لك - وسئل رضى الله عنه عن الهمة فقال هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره .

ولسيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه : ملتفت لا يصل ومتسلل لا يفلح ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان - الأمر أعظم مما تظنون وأصعب مما تتوهمون .

ولسيدى على بن الهيتى رضى الله عنه : كل من كوشف بالحقيقة أو شاهد الحق أو اختطف عن مَشَاهده بوجود الحق أو إستهلك فى عين الجمع أو لم يشهد سوى الحق تعالى أو لم يحس سوى الحق أو هو محو فى حق الحق أو مصطلم فيه بسلطان الحقيقة أو متجل له الحق بجلال الحق إلى آخر ما يعبر عنه معبر أو يشير إليه مشير أو ينتهى إليه علم فإنما هى شواهد الحق وحق من الحق له وكل ما بدا على الخلق فذاك مما يليق بالخلق وهو من حيث الخلق وجميع ما تحقق بوصفه خلق فهى أحوال والأحوال من صفات أهل المعرفة ولا سبيل لمخلوق إلا إلى الأحوال . والغيبة عن الأحوال والتنقى عن

الأحوال حالة من جملة الأحوال والتوحيد فوق المعارف .

ولسيدنا أبى مدين المغربى رضى الله عنه : الفقر أمارة على التوحيد ودلالة على التفريد وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه.

ولسيدى عبدالرحيم القناوى رضى الله عنه : الحياة أن يحيا القلب بنور الكشف فيدرك سر الحق الذى برزت به الأكوان فى اختلاف أطوارها .

ولسيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه :لا يكون الفقير فقيرا حتى يكون حمالا للأذى من جميع الخلائق إكراما لمن هم عبيده سبحانه وتعالى فلا يؤذى من يؤذيه ولا يتحدث فيما لا يعنيه ولا يشمت بمصيبة ولا يذكر أحدا بغيبة ورعا عن المحرمات موقوفا عن الشبهات إذا بلى صبر وإذا قدر غفر غضيض الطرف يعمر الأرض بجسده والسماء بقلبه طريقة الكظم والبذل والإيثار والعفو والصفح والأحتمال لكل من يتحدث فيه بما لا يرضيه .

ولسيدى أحمد البدوى رضى الله عنه : كان رضى الله عنه يقول لسيدى عبدالعال رضى الله عنه : إياك وحب الدنيا فإنه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل - وكان يقول له : طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى .

ولسيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه : علم تجريد التوحيد خاصة يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه إذ لا مناسبة بين الله تعالى

وبين خلقه ألبتة - لا يصح أن يعرف من علم التوحيد إلا نفى ما يوجد فيما سواه سبحانه . فالعلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه - العقل قد يهبه الحق المعرفة به فيعقلها لأنه عقل لا من طريق الفكر هذا مالا نمنعه فإن هذه المعرفة التى يهبها الحق تعالى لمن يشاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها ولكن يقبلها فلا يقوم عليها دليل ولا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل - ليس من الله فى أحد شىء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره .

وللشيخ محمد بن عبدالجبار النفرى رضى الله عنه : حق المعرفة أن تشهد العرش وحملته وما حواه من كل ذى معرفة يقول بحقائق إيمانه ليس كمثله شىء .

ولسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه : كل علم يسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقا وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله وأقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبالأئمة الهداه المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبه المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك أن تكون عبدالله ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال رجل

متى الساعة يارسول الله قال ما أعددت لها قال لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب .

ولسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه : علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق - من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه - قد يطلع الله الولى على غيبه إذا ارتضاه بحكم التبع للرسل عليهم الصلاة والسلام ومن هنا نطقوا بالمغيبات وأصابوا الحق فيها - إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات وعرف جميع الألسن إلهاماً من الله عز وجل - شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه .

ولسيدى تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه : حكم مشهورة عم نفعها أوساط الصوفية ووضعت عليها شروح جليلة زادت الأنتفاع بها ومن أهم هذه الشروح إيقاظ الهمم لأبن عجيبة وهو كتاب مطبوع متداول بهم كل من يعتقد الصوفية ويسلك مسلكهم أن يحصل على هذا الكتاب ففيه إرشاد واسع ومعارف غالية تؤسس فهم غرائب ودقائق علوم وأذواق القوم - وسأنقل هنا بعض هذه الحكم العطائية فمنها :

إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد إنحطاط عن الهمة العلية

- العارفون إذا بُسطوا أخوف منهم إذا قُبضوا ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل - العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره - كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته - ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلبه أمامك ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر - مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية - وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء .

ويكفى هذا القدر اليسير من الحكم العطائية ومريد طريق القوم ومعرفة أحوالهم يلزمه الحصول على هذه الحكم وخاصة في شروحها وهي موجودة ومطبوعة والحمد لله .

ولسيدى على وفا قدس الله سره الكثير من المعارف أودعها كتبا له يوجد أغلبها بدار الكتب المصرية . وقد اختار سيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه في طبقاته مقتطفات من بعضها أذكر هنا اليسير جداً من هذه المختارات : قال رضى الله عنه :

من حققك بالله لا تقدر على مكافأته بشىء قط - الذات لا تدخل تحت إحاطة علم ولا إدراك - من عرف الحق فكل أوقاته ليلة قدر - إذا قال الجمهور عن عارف لم لا يظهر معارفه العزيزة الإلهية إلا فى مقام خاص بين قوم خاصين ولم لا يظهرها للناس ويتكلم بها على الجمهور إن كانت حقا كما يزعم فقل لهم أفهموا هذا المثال الدنيا غابة والنفوس المحجوبة عن حقائق الحق المبين فيها سباع ووحوش كواسر وصاحب القلب السليم أو السميع الشهيد بينهم كإنسان دخل ليلا فى تلك الغابة وهو حسن الكلام والقراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع والوحوش أوى إلى شجرة يختفى فيها منهم ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هناك حذرا منهم فهل يدل اختفاؤه عنهم على أنه غير حكيم أو على أنه غير إنسان لا والله لأنه لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته ليهتدوا به لم يفهموا عنه وسارعوا إلى تمزيقه وأكله وكان هو الملقى بيده إلى التهلكة فافهم وتابع رضى الله عنه الكلام فى هذا المعنى باستشهادات شرعية تؤيده . فارجع إليها بالطبقات وقال رضى الله عنه فى حديث « إن الله خلق الأجسام فى ظلمه ثم رش عليهم من نوره » معنى كون الأجسام فى ظلمه أنها مراتب إبهام وإيهام نشأ بها من حيث جرفها الوهم البهيم والنور المرشوش عليها هو الروح فمثال الأجسام على الأرواح المرشوشة فيها من نور الله كنقاب أسود مغبر على وجه مبهج أقمر

فمن لم ير من ذلك الوجه إلا نقابه لم يبتهج ولم يجد سرورا وكذلك أولياء الله تعالى من رأى أجسامهم لم يبتهج بهم بل لم تزده تلك الرؤية إلا غفلة واستغراقا فى سوء الظنون بهم وقلة الأدب معهم وماذاك إلا أنه حجب برؤية الحجاب عن رؤية الأحباب وأطال فى ذلك .

ولسيدى أبى المواهب الشاذلى رضى الله عنه : احذر أن تمزق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع واحذر أن تقول أنا مطلق الحدود لأنى دخلت حضرة الشهود فإن الذى دعاك هو الذى نهاك .

ولسيدى محمد المغربى الشاذلى رضى الله عنه : الطريق كلها ترجع إلى لفظتين سكتة ولفتة وقد وصلت وشرح هذه القولة سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى الطبقات عندما ذكرها بقوله : معناه عدم الالتفات لغير الله تعالى والإقبال على أوامر الله - وقال رضى الله عنه : حد الصفات مشتمل على النفى والإثبات على حد كلمتى الشهادتين سواء فإن نظرت إليها من حيث عدم تعلق الذات بها وهو طرف النفى قلت ليست هى هو كلا إله . وإن نظرت إليها من حيث تعلقها بالذات وهو طرف الإثبات قلت ولا غيره كإلا الله فلا يجوز الوقف عند قوله ليست هى هو كما لا يجوز الوقف عند قوله لا إله حذرا فى الأول من إثبات الغيرية المحضة لصفات الله تعالى وفى الثانى حذرا من النفى المحض لذات الله تعالى هذا حكم كل كلام متعدد اللفظ

متحد المعنى وذلك أن الكلمات المنطبقة على معنى واحد مرتبط بعضها ببعض كقولهم ليست هى هو ولا غيره فلا يجوز التكلم على بعض منها دون بعض لأن ذلك مما يخل بالمعنى الواحد من حيث أنه يتكلف لجزء الكلام معنى آخر وهذا مما يفسد نظام الكلام ويحرفه عن سبيل الاستقامة .

وكان يقول : اطلب طريق ساداتك وإن قلوا وإياك وطريق غيرهم وإن جلوا وكفى شرفا بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىَ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » قال وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب علم الشريعة - وكان يقول : ابن الشريعة ناظر بعين الحكم الظاهر ونسبة فعل الخلق اليهم لتوجه الخطاب وترقب الأحكام عليهم﴿ واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون﴾ وأين الحقيقة ناظر بعين الحكمة الباطنية ونسبة الفعل إلى الحق لأنه الفاعل المختار حقيقة ﴿ وربُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مــا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وتَعَالَىَ عَمَّا يُشْرِكُون ﴾ فإذا كان أدب الشريعة مبنيا على شهود الخلق فى شهود الحق وأدب الحقيقة مبنيا على فناء الخلق فى شهود الحق وتباين الأمران تعين إظهار الأمر الظاهر وتحتم ابطان الأمر الباطن خشية المعارضة والتعطيل هذا سبب عدم بناء الحكم فى الظاهر على الحكمة الباطنة إذ لو ترتب عليها حكم لتعذر على غالب الناس الجمع بينهما وأفضى بنا الحرج والتشديد إلى شقاق

بعيد .

ولسيدى على الخواص رضى الله عنه : من تحقق برتبة الإيمان علم أن جميع المراتب تصاحب الإيمان كمصاحبة الواحد لمراتب الأعداد الكلية والجزئية إذ هو أصلها الذى بنيت عليه فروعها وثمارها - من أدرك من نفسه التبديل والتغيير فى كل نفس فهو العالم بقوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ - أشد العذاب سلب الروح وأكمل النعيم سلب النفس وألذ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب وبداية الإسلام التسليم وبداية الإيمان الرضا - علامة الراسخ فى العلم أن يزداد تمكينا عند السلب لأنه مع الحق بما أحب لا مع نفسه بما تحب فمن وجد اللذة فى حال علمه وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضورا- وله رضى الله عنه الكثير من المعارف والأسرار الغالية بترجمته بالطبقات الكبرى لسيدى عبدالوهاب فارجع إليها للاستزادة .

ولسيدى أفضل الدين الأحمدى رضى الله عنه : كونوا عبيد الله لا عبيد أنفسكم ولا عبيد دينارکم ودرهمكم فإن كل ما تعلق به خاطر كم من محمود أو مذموم أخذ من عبوديتكم بقدر حبكم له وأنتم لم تخلقوا للكون ولا لأنفسكم بل خلقتم له فلا تهربوا منه فإنكم حرام على أنفسكم فكيف لا تحرمون على غيركم .

ولسيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية وهو بهامش الطبقات الكبرى له رضى الله عنه : طريق القوم ذوق لا نقل فمن لم يذق وأنكر فهو معذور - وتسهيلا للقارىء أضع أمامه بعض فقرات من هذا الكتاب :

من شأن كمل العبيد ألا يقفوا مع شىء من المواهب التى منحهم السيد بها -من علامات الإخلاص ألا يتكدر العبد عن نسبه إلى الجهل وعدم الفهم - ومن شأن طالب العلم أن ينظف باطنه من الخصال المهلكة كالكبر والحرص ودعوى العلم ومحبة الدنيا - ليس بين الكامل من الفقراء والكامل من الفقهاء نزاع لوحدة الطريق إلى الله .

ولسيدنا الإمام الربانى الشيخ أحمد الفاروقى السهرندى رضى الله عنه : أعلم يا أخى أن الذى لابد منه وكلفنا الله به امتثال الأوامر واجتناب النواهى لقوله تعالى ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾وإذ كنا مأمورين بالإخلاص فى ذلك وهو لا يتصور بدون الفناء وبغير المحبة الذاتية وجب علينا أيضا سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة الذاتية حتى تتحقق حقيقة الإخلاص .

ولسيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه : الوقوف مع العبودية هو منتهى أهل المشاهدة الملكوتية - الدنيا لا يقف عندها سالك ولو بلغ أسنى المسالك

- ثمانية من كنّ فيه فليس بصوفى : الشح ، والدعوى ، وحب الشهرة ، وصحبة أهل الأهواء ، والاشتغال بما لا يعنى ، وعدم الصدق والوفاء ، والتكبر عن خدمة الفقراء ، وعدم الوقوف مع الحدود - جانب الأجانب وادخل البحر ولا تقنع بالجوانب - شواهد المعرفة تلوح على صاحب الطرف الطموح - ظلك عبوديتك فكما لا ينفك هو عنك لا تنفك هى عنك - علو الهمة يكشف الغمة - قدر كل أحد على قدر معرفته بالأحد - لذة الأسرار تغنى صاحبها عن الأوتار - مدار حركة المعرفة عند أرباب المكانة العلية لا تتم إلا بيقظة القلب وهى العبودية .

ولسيدى على البيومى رضى الله عنه : حدث الباطن هو كل ما حجبك عن دخول حضرة الحق تعالى ومنعك لذة مناجاته ومسامرته كطلب أحوال ومقامات وكرامات وخرق عادة ومعرفة وقرب وحب ووجد وفقد فإن طلب ذلك كله بقايا نفسانية وحظوظ شهوانية أوجبت الميل إلى هذه الصفات المذكورة إلى أن قال وكمال التطهير من ذلك كله هو الغيبة فى الله والفناء به عما سواه - جنة العارف مولاه - أوقات الفقير فى الفقر الحقيقى أعز وأعلى من الكدر والصفاء فمن غيرته الحوادث بالصفاء والكدر فليس من الفقر فى شىء - معرفة الله الخاصة هى الانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه وشهوده فى كل حال - المنازل التى ينزلها السائر إلى الله تعالى: المحبة

والقصد والإرادة والعزم والأدب واليقين والأنس والذكر والفقر والفناء لأن المريد يسير بباطنه والعابد بظاهره والمريد يراقب وارداته وللعابد إرادة لكن الاعتماد على فضل الله وكرمه وشهود فيضان نعمه ومنته هو الأولى والأليق بالعبد وهو طريق الشكر للمريد - من حكمة الله فى خلقه أنّ من أغتذى جسمه بجسمانية شيء اعتذت نفسه ونيته من ذلك الشيء .

ويكفى هذا القدر وعلى الله قصد السبيل .

وصل - بعض المنظوم فى المعرفة

العقل أفقر خلق الله فاعتبروا ∴ فإنه خلف باب الفكر مطروح

لولا الإله ولولا ما حباه به ∴ من القوى لم يقم بالعقل تشريح

من كان حين لم تكن ∴ لم يك إلا الله

وإذ فنيت من بقى ∴ لم يبق إلا الله

قل لا مرىء رام إدراكا لخالقه ∴ العجز عن درك الإدراك إدراك

مَنْ دان بالحيرة الغراء فهو فتى ∴ لغاية العلم بالرحمن دراك

وأى شخص أبى إلا تحققه ∴ فإن غايته جحد وإشراك

والعجز عن درك التحقيق شمس ضحى ∴ جرت به فوق جو النسك أفلاك

تعالى الحق عن همم الرجال ∴ وعن وصف التغرق والوصـــال

إذا ما جل شيء عن خيال ∴ يجل عن الإحاطة والمثـــال

فيك يا من جل عن فكرى ∴ تاه عقلى وانقضى عمـــرى

سافرت فيك العقول فما ∴ ربحت إلا أذى السفـــر

فلحا الله الألى زعمـوا ∴ أنك المعلوم بالنظـــر

كذبوا إن الذى ذكـــروا ∴ خارج عن قـوة البشـــر

نحن أهل العلوم بالإلهام ∴ لا بفكر العقول والارتســام

حيث إلهامنا تقيد فينـا ∴ بمعانى شرائع الإســلام

وإذا لم يقم عليه دليـل ∴ عندنا من حديث خير الأنـام

أو كتاب الله القديم حكمنا ∴ أنه من وساوس الأوهـــام

وتركنا قبوله وعدلنـــا ∴ نحو إيماننا بصدق المقـــام

واتكلنا على الإله تعـالى ∴ نطلب الفيض منه بالإنعـــام

تأمل سطور الكائنات فإنها ∴ من الملأ الأعلى إليك رسائـل

لقد خُطَّ فيها لو تأملت سطرها ∴ ألا كل شيء ما خلا الله باطـل

من لم يكن بك فانيا عن حظه ∴ وعن الهوى والأنس بالأحبـــاب

فلأنه بين المراتب واقـــــف ∴ لمنال حظ أو لحسن مــــــآب

وما قدر مثلى أن يحيط بمثله ∴ وأين الثرى من رفعة البدر إنمـا

أشاهده فى صفو سرى فأجتلى ∴ جمالا تعالى الله عن أن يقسمـا

٤- أقوالهم فى المحبة من المنثور

المحبة أول أودية الفناء والعقبة التى يتحرر منها على منازل المحو وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة العامة وساقة الخاصة وما دونها أعواض لأعواض والمحبة هى سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعقد النسبة وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى محبة تقطع الوسواس وتسلى عن المصائب وهى محبة تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة - والدرجة الثانية محبة تبعث على إيثار الحق على غيره وتلهج اللسان بذكره وتقلق القلب بشهوده وهى محبة تظهر من مطالعة الصفات والنظر فى الآيات والارتياض بالمقامات - والدرجة الثالثة محبة خاطفة تقطع العبارة وتدفع الإشارة ولا تنتهى بالنعوت وهذه المحبة هى قطب هذا اللسان وما دونها محاب تنادى عليها الألسن وادعتها الخليقه وأوجبتها العقول أهـ. بتصرف يسير من منازل السائرين لشيخ الإسلام أبى إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى الهروى رضى الله عنه .

وقال فى رسالة القشيرى رضى الله عنه بعد ما حقق محبة الحق للعبد ومحبة العبد للحق وأورد الاشتقاقات اللغوية للفظ المحبة وأجراها على المعانى التى تعطيها حالة المحب ويوصف بها .

قال رضى الله عنه : وأما أقاويل الشيوخ فيه « أى فى الحب» فقال بعضهم : المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب - وللاختصار أسوق بعض هذه التعاريف فأقول :

حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء - المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش - المحبة أغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول - ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى ﷺ قال «المرء مع من أحب» فهم مع الله تعالى - ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده - لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة - المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة .

وأما أقوالهم فى طبقات السلمى رضى الله عنه فكثيرة أيضا أذكر بعضها فأقول :

المحبة الموافقة فى جميع الأحوال وأنشد :

ولو قلتِ لى متْ متُّ سمعا وطاعة ∴ وقلتُ لداعى الموت أهلا ومرحبا

- لا يعبر عن الشيء إلا بما هو أرق منه ولا شيء أرق من المحبة فبم يعبر عنها - سمع أبو حمزة الخراسانى بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجده وغلبة الحال عليه وإظهار سره فى مجلس فيه بعض الأضداد . فقال أبو حمزة : أقصر يا أخى فالوجد الغالب يُسقط التمييز ويجعل الأماكن كلها مكانا واحدا والأعيان عينا واحدة ولا لوم لمن غلب عليه وجده فاضطره إلى أن يبديه . وما أحسن ما قال ابن الرومى :

فدع المحب من الملامة إنها ∴ بئس الدواء لموجع مقلاق

لا تطفئن جوىً بلوم إنه ∴ كالريح يغرى النار بالإحراق

- أهل المحبة واقفون مع الحق على مقام إن تقدموا غرقوا وإن تأخروا حُجبوا .

أما سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فقد عقد للمحبة بابا خاصا واسعا بالمجلد الثانى من كتابه الفتوحات المكية يجد فيه المشتاق لمعرفة أحوال القوم ومقاماتهم ما يدهشه من تحقيق للحب وحب الحب ونعوت المحبين وشرح كل نعت من نعوتهم . ولمحبة الاختصار فى هذا الكتاب لا أنقل من هذا الباب إلا بعض قصائد شعرية ألحقها بالمنظوم من أقوالهم فى المحبة وهو هذا الوصل الآتى .

وصل - بعض المنظوم من أقوالهم فى المحبة

سأسوق فى هذا الوصل بعض القصائد والأبيات فى المحبة المنسوبة للقوم - رضى الله عنهم بدون ذكر القائلين اختصارا - وأما محب الزيادة فعليه بكتبهم ودواوينهم

فاسمع وفقنى الله وإياك لمحبته

أموت وما ماتت إليك صبابتى ∴

ولا قضيت من صدق حبك أوطـــــارى

مناى المنى كل المنى أنت لى منى ∴

وأنت الغنى كل الغنى عند إقتـــــارى

وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى ∴

وموضع آمالى ومكنون إضمـــــارى

تحمل قلبى فيك مالا أبثه ∴

وإن طال سقمى فيك أوطال إضـــــرارى

وبين ضلوعى منك مالك قد بدا ∴

ولم يبدُ باديه لأهل ولا جـــــار

وبى منك فى الأحشاء داء مخامر ∴

فقد هدّ منى الركن وانبث إســـــرارى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألست دليل الركب إن هم تحيروا ∴

ومنقذ من أشفى على جرف هـــــــارى

أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن ∴

من النور فى أيديهم عشر معشـــــار

فنلنى بعفو منك أحيا بقربه ∴

أغثنى بيسر منك يطرد إعســـــارى

****

والصبر يحسن فى المصائب كلها ∴ إلا عليك فإنه مذمــــــوم

****

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم ∴ وكان بذكر الخلق يلهو ويمــــزح

فلما دعا قلبى هواك أجابه ∴ فلست أراه عن فنائك يبــــرح

رُميت ببين منك إن كنتُ كاذبا ∴ وإن كنت فى الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شىء فى البلاد بأسرها ∴ إذا غبت عن عينى بعينى يملُــح

فإن شئت واصلنى وإن شئت لاتصل ∴ فلستُ أرى قلبى لغيرك يصلــح

****

يا من يعد الوصال ذنبا ∴ كيف اعتذارى ولى ذنـــوب

إن كان ذنبى إليك حبى ∴ فإننى منه لا أتـــــــوب

****

إذا صد من أهوى صددت عن الصد ∴

وإن حال عن عهدى أقمت على العـــــهد

فما الوجد إلا أن تذوب من الوجـــد

وتصبح فى جَهد يزيد على الجَهـــــــــد

****

أجلك أن أشكو الهوى منك إننى ∴ أجلك أن تومى إليك الأصابع

وأصرف طرفى نحو غيرك عامدا ∴ على أنه بالرغم نحوك راجـــع

****

رؤى الشبلى فى يوم عيد خارجا من المسجد يقول :

إذا ما كنت لى عيدا ∴ فماأصنع بالعيـــــــــــد

جرى حبك فى قلبى ∴ كجرى الماء فى العــــــــــود

****

روحى إليك بكلها قد أجمعت ∴ لو أن فيك هلاكها ما أقلعت

تبكى إليك بكلها عن كلها ∴ حتى يقال من البكاء تقطعت

فا نظر إليها نظرة بتعطف ∴ فلطا لما متعتها فتمتعـــــت

****

أنحل الحب قلبه والحنين ∴ ومحاه الهوى فما يستـــــبين

ما تراه الظنون إلا ظنونا ∴ وهو أخفى من أن تراه الظنون

****

أنافعى دمعى فأبكيـــــك ∴ هيهات مالى طمع فيـــــك

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

كل العذاب الذى فى الناس مسترق ∴ مما بقلبى من شوق وتذكـــار

****

علقت بمن أهواه من حيث لا أدرى ∴

ولا أدرى من هذا الذى قـــال لاأدرى

فقد حرت فى حالى وحارت خواطرى ∴

وقد حارت الخيرات فىّ وفى أمـــــرى

****

هوى بين الملاحة والجمال ∴ يقاسيه القوى من الرجـــال

ويضعف عنه كل ضعيف قلب ∴ تقلب فى النعيم وفى الـــدلال

وتقليبى مع الهجران عندى ∴ ألذ من العناق مع الوصـــال

فإنى فى الوصال عُبيد نفسى ∴ وفى الهجران عبد للموالـــى

وشغلى بالحبيب بكل وجه ∴ أحب إلىّ من شغلى بحالـــى

****

نعيمك أو عذابك لى سواء ∴ فحبك لا يحول ولا يزيـــد

فحبى فى الذى تختار منى ∴ وحبك مثل خلقك لى جديـــد

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

كل محبوب سوى الله سرف ∴ وهموم وغموم وأســـف

كل محبوب فمنه خلف ∴ ما خلا الرحمن ما منه خـــلف

إن للحـــب دلالات إذا ∴ ظهرت من صاحب الحب عـــُرف

صاحب الحب حزين قلبه ∴ دائم الغصة مهموم دنـــف

همه فى الله لا فى غيره ∴ ذاهب العقل وبالله كَلـــف

أشعث الرأس خميص بطنه ∴ أصفر الوجنة والطـــرف ذرف

دائم التذكار من حب الذى ∴ حبه غاية غايات الشـــرف

****

من أحسن المذاهب ∴ سكـــر علـــى الـــدوام

وأكمل الرغائب ∴ وصـــل بلا انصـــرام

****

لكل شىء إذا فارقته عوض ∴ وليس لله إن فارقت من عـــوض

****

إن الفراق مع الغرام لقاتلى ∴ صعب الغرام مع اللقاء يهـــون

الهوى راشقى بغير سهام ∴ الهوى قاتلى بغير سنـــان

****

واحربا من كبدى واحربا ∴ واطربا من خلدى واطـــربا

يا مسك يا بدر ويا غصن نقا ∴ ما أورقا ما أنورا ما أطيـــبا

يا مبسما أحببت منه الحببا ∴ ويا رضابا ذقت منه الضَّربـــًا

يا قمرا فى شفق من خفر ∴ فى خده لاح لنا منتقبـــا

لو أنه يسفر عن برقعه ∴ كان عذابا فلهذا احتجبـــا

****

ولى فى الهوى علم تجل صفاته ∴ ومن لم يفقهه الهوى فهوفى جهل

ومن لم يكن فى عزة الحب تائها ∴ بحب الذى يهوى فبشره بالـــذل

إذا جاد أقوام بمال رأيتهم ∴ يجودون بالأرواح منهم بلا بخــل

****

هو الحب فاسلم بالحشاما الهوى سهل ∴ فما اختاره مضنى به وله عقــل

وعش خاليا فالحب راحته عنــــــا ∴ فأوله سقم وآخره قتـــــــل

ولكن لدى الموت فيه صبابــــــة ∴ حياة لمن أهوى علىّ بها الفضل

نصحتك علما بالهوى والذى أرى ∴ مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

فإن شئت أن تحيا سعيدا فمت به ∴ شهيدا وإلافالغرام له أهـــــل

الفصل الخامس
فى الوصايا نثرا ونظما

للقوم رضى الله عنهم الكثير جدا من الوصايا والإرشادات النافعة الدالة لطالبى طريقهم على مطلوبهم وهى مودعة فى كثير من كتبهم ومن أشهرها رسالة القشيرى رضى الله عنه والطبقات الكبرى لسيدى عبدالوهاب الشعرانى رضى الله عنه وسائر كتبه المطبوعة هامة ونافعة جدا فى الوقوف على المطلوب فى السلوك . وكذلك حكم سيدى ابن عطاء الله السكندرى وشروحها وبخاصة شرح ابن عجيبة رضى الله عنه وبهذا الشرح كتاب آخر وهو شرح المباحث الأصلية فى طريق الصوفية أيضا . وقواعد التصوف للشيخ رزوق رضى الله عنه ومدارج السلوك للشيخ أبى بكر البنانى وتحفة الأذواق للشيخ فتح الله البنانى وبالجملة فالباحث الصادق فى طلب الشىء ييسر له الحصول عليه .

وتسهيلا للمطلع على هذا الكتاب أسوق بعض وصاياهم فى السلوك فأقول:

بعض المنثورات من وصاياهم

ختم سيدنا الإمام القشيرى رضى الله عنه رسالته المشهورة بوصية للمريدين أسوق منها هنا عيونها الهامة التى يهتدى بها الكثير من طالبى الحق وذلك للاختصار . مع ملاحظة أنى تصرفت بعض التصرف الذى يوجبه هذا الاختصار مع عدم الإخلال بالمراد فأقول : -

١- اللازم للمريد فى هذه الطريقة الصدق ليصح البناء على أصل صحيح.

٢- تصحيح الاعتقاد على وفق آراء أهل السنة والجماعة .

٣- تحصيل ما يلزم من علوم الشريعة لحسن السير فى طريق المقربين .

٤- عدم اللجوء إلى الرخص بدون الضرورة .

٥- الأخذ بالأحوط من فتاوى الفقهاء .

٦- التوبة الصادقة والخروج عن العوائق حسية ومعنوية .

٧- مراعاة الآداب اللازمة مع الشيوخ والإخوان .

٨- الرياضة الخلقية لتهذيب الطباع وتصفية السريرة .

٩- عدم التصدر لتربية الغير ما لم تتحقق الأهلية لذلك .

وإليك بعض الوصايا والتوجيهات مختصرة من كتاب الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية لسيدى عبدالوهاب الشعرانى وهو مطبوع بهامش كتابه الطبقات الكبرى :

١- عدم الوقوف مع مواهب الحق ودوام التوجه إليه عبودية محضة .

٢- من شأن طالب العلم ألا ينشر علمه ليصدقه الناس وإنما ينشره ليصدقه الله .

٣- عدم الاقتصار على التعليم بل اللازم وجود الأعمال والإخلاص فيها لتصفية الروح .

٤- من شأن العبد أن يراعى الأدب ويرى أنه أضعف خلق الله .

ولسيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه كتاب التواصى بالصبر والحق

وهو جامع للكثير من الوصايا نثرا ونظما فما جاء فيه من المنشورات بتصرف غير مخل :

١- دم على طلب الاستقامة يظهر لك سرها.

٢-إحضر مع الحق بكلك لا تكن كمن يناجى بلسانه وقد غفل عن مولاه بقلبه وأركانه .

٣- إذا محوتَ نقوش الأغيار من لوح الفكر رسمتَ فيه الأسرار بواسطة مصقلة الذكر فكل مريد أعاد لوحه لأصله خلص من داء فصله فإن الكتابة فوق الكتابة لا تفيد غير الكآبة فالمحو مثال التخلى والنقش مثال التحلى والفائدة الحاصلة منهما مثال التجلى . ويكفى هذا من المنثور فإنى قد أودعت هذا الكتاب فيما سبق من الفصول ما يعتبر من الوصايا والإرشادات.

وصل - المنظوم من الوصايا

سأذكر ما ييسره الله من قصائد وأبيات فى الوصايا بدون ذكر أصحابها اختصارا .

الله قل وذر الوجود وما حوى ∴ إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته ∴ عدم على التفصيل والإجمال

من لا وجود لذاته من ذاته ∴ فوجوده لولاه عين محال

= = = = = = = = = = = =

فسر فى أمان الله للحق مسرعا ∴ وكن معرضا عن ذى الأمور الشنيعة

كحرص على مال وحب ولاية ∴ وكثرة أصحاب ونيل المـــــــــزية

* *

فلا تلتفت فى السير غيرا فكل ما ∴

سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنـــــا

ومهما ترى كل المراتب تُجتلـــى ∴

عليك فحل عنها فعن مثلها حلنـــآ

وكل مقام لا تقم فيه إنــــــه ∴

حجاب فجد السير واستنجد العونـــا

وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب ∴

فلا صورة تجلى ولا طرفة تجـنــــى

****

يا من يروم منازل الأبـــدال ∴ من غير قصد منه للأعمـــال

لا تطمعن فيها فلست بأهلها ∴ إن لم تزاحمهم على الأحـــوال

واصمت بقلبك واعتزل عن كل من ∴ يدنيك من غير الحبيب الوالـــى

وإذا سهرت وجعت نلت مقامهم ∴ وصحبتهم فى الحل والترحـــال

****

لا تخش من موت لدى طلب المنى ∴ فالموت فى طلب الحبيب حيـــاة

****

إنما أنت له عبد فكـــن ∴ جاعلا فى القرب منه ولعـــك

فز بوصل إن تراه واصلا ∴ وأقبل القطع إذا ما قطعـــك

كلما نابك أمر ثق به ∴ واحترز للغير تشكو وجعـــك

لا تؤمل من سواه أملا ∴ إنما يسقيك من قد زرعـــك

****

سلم الدين للكلام الذى قد ∴ أنزل الله فهو خير كـــــــلام

هو قرآننا المبين فآمـــــن ∴ بالذى قد جاء فيه باستســــلام

واطلب الفهم من إلهك فيه ∴ فعليه البيان للأفهـــــــام

واعرف السنة التى ثبتت عن ∴ سيد المرسلين خير الأنـــــام

وتأمل ما قال ربك فيها ∴ تجد الحق والصواب النامـــــى

وإذا لم تفهم فكن مؤمنا لا ∴ مستريبا بعقلك المستهـــــام

واجعل الصبر منك زادا إلى أن ∴ يفتح الله فيه بالإنعـــــام

وإذا لم يفتح فحسبك منه ∴ أنك المؤمن الجليل المقـــــام

****

لا تفارق تقليد شرعك محضا ∴ خالصا عن شوائب الأنبهـــــام

****

لمتى أنت هكذا فى غرور ∴ ها هو الموت مسرع الأقـــدام

لتحفظ من حكم عقلك فيما ∴ لست تدرى من الأمور العظـــام

لا تخض بالعقول فى ذاك واقعد ∴ مؤمنا مذعنا لنيل المـــــرام

قصيدة شرحتها بقدر الوسع لضرورة هذا الشرح

طريقتنا قل بأقوالها ∴ ودع عنك تفنيد عُذالهـــــــا

خذ الفرق ما بين أهل الهدى ∴ وأهل الضلال وأعمالهـــــــا

لكل على زعمه طاعة ∴ وقانون وضع لأفعالهـــــــا

وفى كل طائفة همة ∴ لتحصيل غايات أحوالهـــــــا

وفيهم سلوك على منهج ∴ صواب لدى عَقد عمالهـــا

ولكن سوى دين أهل الهدى ∴ عقول رأت حسن إضلالهـــا

فقالت على الحق ما لم يقل ∴ وقد زخرفت قبح أقوالهـــا

فلا وضع شرع لها ثابت ∴ لِيُنوى به قربٌ إيصالهـــا

بصبر وزهد وأكل الحلال ∴ وشكر وتقوى وأشكالهـــا

وصوم وترك لذيذ النكاح ∴ وشهوات نفس وآمالهـــا

وترك الزنا والربا والريا ∴ وظلم وقتل وأنكالهـــا

فنيتهم فعلها لم يكن ∴ لهم طاعةً دون أفعالهـــا

فيبقى لهم فعلها هكذا ∴ بلا قصد وضع لتمثالهـــا

وغاية ذلك نيل الصفا ∴ وترك الجسوم لأثقالهـــا

وتحصيل خفتها والفهو ∴ م ترتاض من ترك أشغالهـــا

وإن دام أنتج قدس النفوس ∴ وتطهيرها من قذى حالهـــا

وكشف عن الملكوات الذى ∴ لأرواحه سر إقبالهـــا

وهم فى حجاب عن الله عن ∴ معانى التجلى وإنزالهـــا

وأما طريقة أهل الهدى ∴ كما هم نزول بأطلالهـــا

فوضع صحيح به مؤمنون ∴ على مقتضى حكم أرسالهـــا

فأفعالهم لكمالاتهم ∴ بنيتهم وضع إكمالهـــا

فوصف لصفا عندهم زائد ∴ وقدس النفوس بأفضالهـــا

وفى ملكوت السما كشفهم ∴ عن الروح تفصيل إجمالهـــا

وقد زادهم ربهم علمهم ∴ به فى المجالى وإجلالهــــــــــا

يقول الفقير بما أن هذه القصيدة الأخيرة من هذه القصائد والأبيات الواردة فى وصل الوصايا المنظومة لها ارتباط وثيق بأظهر فرق بين الصوفية والطوائف الأخرى التى على غير نهج المحمديين لزم أن أوضح بقدر الوسع بعض معانى أبياتها والمراد منها وحل ما أبهم لفظا ليسهل فهمه .

فالبيت الأول مفهوم . وأما البيت الثانى فيريد به المؤلف وضع الفروق بين طوائف الصوفية من المحمديين وغيرهم من طوائف على غير اتباع للأنبياء وشرائعهم كفلاسفة اليونان ومرتاضى الهنود - ويريد بضمير زعمه فى البيت الثالث طوائف أهل الضلال لاسواهم من المحمديين . ومعنى القانون الوضعى لأفعال طرقهم هو ما رسموه من رياضات بدنية تعارفوا عليها - وأما البيت الرابع فيريد بكل طائفة نفس طوائف أهل الضلال فقط كما فى البيت السابق - أما البيت الخامس فيراد بضمير فيهم نفس طوائف أهل الضلال كما فى البيتين قبله - وأما البيت السابع ففيه إشارة لما فى كتب الفلاسفة وغيرهم من طوائف غير المحمديين من نظريات علمية غريبة التراكيب والمعانى يحسبها الضعيف فى فهم حقائق العلم بالله وأسراره فى الأكوان علوماً صحيحه مقبولة تترتب عليها سعادة وهو فى فهمه هذا خاطىء لتركه ولوج أبواب شرائع المرسلين والعمل بأعمال اتباعهم الذين يمنحون العلم اللدنى من قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ - وأما البيت الثامن ففيه الإفادة بأن أهل الضلال تركوا العمل بموجب شرائع المرسلين - وأما البيت التاسع فالمراد بعد الأعمال فيه من صبر وزهد وغيرها أنها أعمال

الشرائع الثابتة فهو تفسير وتفصيل للشرع الثابت المذكور فى البيت السابق وكذلك ما ورد من الأعمال المعدودة فى البيتين الآتيين بعد - وأما البيت الثانى عشر فقوله « فنيتهم فعلها » يوقف عنده ويكون المعنى أنهم لا ينوون فعل الأفعال المذكورة من صبر وزهد وغيرها مما تحض عليها الشرائع أمتثالا لأمر الشارع بل النية نفس الفعل فقط لما يترتب عليه من صفاء نفس وكشوف كونية وعلوم نظرية ظهرت للسالكين منهم هذا المسلك - وقوله «لم يكن لهم طاعة » استئناف لمعنى آخر تؤديه باقى ألفاظ البيت أى ليس لهم طاعة المتمثلين المقرين بالمشرعين وشرائعهم وتكون دون بمعنى غير ومنه يفهم معنى البيت اللاحق وقوله « لتمثالها » أى لصورتها الشرعية المكلف بها أتباع الرسل المصدقون بهم - وأما قوله فى البيت الرابع عشر « وترك الجسوم لأثقالها » أى أن أجسامهم تخف نتيجة للرياضات كما حصل الصفاء فى النفس - وأما قوله فى أول البيت الخامس عشر « وتحصيل خفتها » ففهم من ترك الجسوم لأثقالها - ثم ما جاء بعد ذلك من قوله « والفهومُ ترتاض» فهو استئناف لإيراد معنى أخر وهو أن فهومهم تصفو لراحتها من الشواغل - وقوله فى البيت السادس عشر « وإن دام» أى إن دام صفاء النفس وخفة الجسم وراحة الفهم - ومعنى قدس النفوس طهارتها لكنها الطهارة المترتبة على الأعمال المنتجة بخصائصها المودعة فيها حكمة إلهية لا طهارة الأرواح المترتبة على الأعمال الشرعية - وأما البيت السابع عشر فالمراد بالكشف الملكوتى فيه حضرة روحية غير تامة الانجلاء اقتضتها حالة الصفاء النفسى المشار إليها فيما سبق وهى لا تتعدى الكشوف الكونية حتى

فى العلم به جل شأنه إذ أن أصول عقائدهم كونى مقيد فلا ينكشف لهم فى العلم به جل شأنه إلا ما ناسب عقائدهم التى ربطوا أنفسهم بها - وقوله لأرواحه أى الأرواح التى تظهر فى هذه الحالة الكشفية وكلمة الملكوت تطلق على ما بعد عالم الحس - وقوله « سر إقبالها » أى إقبال هذه الأرواح المنكشفة لهذه النفوس الصافية المستعدة لذلك فيها -وقوله فى البيت الثامن عشر « عن الله عن » فيريد بكلمة عن الثانية توضيح معنى الحجاب عن الله . ومعانى التجلى هى ما يشهده المتبعون للشريعة من حضرات كشفية وعلمية صحيحة موروثة عن مشاهدة أحوال الرسل - وكلمة إنزالها أى إنزال التجليات بمعنى ورودها على المتجلَّى عليهم - ثم ابتدأ فى البيت التاسع عشر والذى بعده يوضح طريقة المحمديين وهم الصوفية هنا بكونهم يسيرون بمقتضى وضع صحيح وهو الشرع الشريف الذى أتى به المرسلون - وأما الشطرة الأولى فى البيت الحادى والعشرين فهى لتأييد معنى كون الصوفية يريدون بأفعالهم حصول الكمالات لهم والكمالات هى ما أرشد إليه المشرعون وقوله فى الشطرة الثانية من هذا البيت « بنيتهم» أى بسبب حصول النية منهم عند مباشرة هذه الأعمال بناء على أن المشرعين أمروا بالنيات قبل الدخول فى الأعمال . وقوله فى هذه الشطرة أيضا « وضع إكمالها » أى إتمام وتحسين هذه الأعمال وتخليصها لمن عملت من أجله وهو الحق جل شأنه كما تحض الشرائع على ذلك . ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾الآية- ثم عبر فى البيت الثانى والعشرين عن نتائج سلوك المحمديين أهل الهدى بأن ذكر أن وصف الصفاء

الذى منحوه وقداسة النفوس وأفضالها المحمودة زائدة على طوائف أهل الضلال - وفى البيت الثالث والعشرين يذكر أن كشفهم روحى تفصيلى هَاد للخير علما وعملا - وذكر فى البيت الأخير أن هؤلاء المحمديين مرادهم ربهم علماً به فى المجالى أى فى حضرات الكشف والظهور بالتجليات ومعنى إجلالها عظمتها وارتفاعها لما فيها من إفادات علم به جل شأنه وبأسرار أكوانه - والله أعلم .

ويكفى هذا القدر من الوصايا وأختم الكتاب بعد ذلك بأحاديث شريفة وآيات قرآنية تناسب الغرض من الكتاب .

وصل - أحاديث شريفة

روى أن سيدنا رسول الله ﷺ قال لسيدنا عبدالله بن عمرو : «كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس قد ضيعت عهودهم ومواثيقهم وكانوا هكذا وخالف بين أصابعه . قال سيدنا عبدالله فما تأمرنى به حينئذ قال تأخذ بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة يقينك وتدع الناس وعوام أمورهم .وروى « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال» .

وروى « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه »

وروى أن رسول الله ﷺ قال لرجل يوصيه « أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به واقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك إنه ليس بفائتك ما قسم لك ولست بلاحق ما زوى

عنك ولانك جاهدا فيما يصبح نافذاً واسع فى ملك لا زوال له فى منزل لا انتقال عنه .

هذا وقد ألحقت بأواخر ما جمعته من كتب فى تراجم السادة سيدى أحمد البدوى وسيدى أحمد الرفاعى وسيدى عبدالقادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى وسيدى محيى الدين بن العربى وسيدى على البيومى قبل هذا التأليف من الأحاديث الشريفة ما يسر الخاطر فى الوصايا جعله الله متقبلا .

وصل - الختم الشريف من كلام الله

قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ولاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ولاَ تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وكَانَ أمْرُهُ فُرُطاً ﴾.

وقال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُون ﴾

صدق الله العظيم

والحمد لله اولا واخراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العارفين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

انتهـــــى

كتب أخرى للفقير جامع الكتاب لم تطبع بعد وهو فى طريق طبعهاوهى :

١- المجموعة الخاتمية فى ترجمة سيدى محيى الدين ابن عربى والردود على منتقديه باتساع وفيه تأييد لطريق الصوفية أيضا.

٢- مجموعة ردود شاملة على مخالفى إجماع الأمة فى تقليد المذاهب الفقهية الأربعة وما يتعلق بضرورة الأجتهاد . وفيها الرد على منكرى التوسل والرد على منكرى الذكر والاجتماع عليه وغير ذلك من ردود واسعة على المخالفين لإجماع الأمة فى الضرورى من العقائد .

٣- مجاميع فى أحزاب وأوراد السادة الرفاعية والجلالية والبدوية والدسوقية والشاذلية والبيومية كل على حده. وفى كل هذه المجاميع فوائد جديده فى تصحيح التصوف والتوفيق من الله فى الطبع .

ويمكن الأتصال بالفقير جامع الكتاب للحصول على أحدهذه الكتب التى لم تطبع للتعاون فى إخراجها للطبع .

فهرس عام للكتاب

تـــابع الفهـــرس

تـــابع الفهـــرس

رقم الايداع : ٣٦٣٥ / ٩٣

الترقيم الدولى I.S.B.N.977-00-5071-7

مطبعة حماده بقويسنا ت : ٣٧٤٧٢٢





رقم الايداع : ٣٦٣٥/٩٣

الترقيم الدولى I.S.B.977-00-5071-7

مطبعة حماده بقويسنا ت : ٢٧٤٧٢٢

الثمن جنيه ٥/ قرش